مركز البحوث العربية
للدراسات العربية والأفريقية والتوثيق
سلسلة ورش عمل التوثيق - ٥

لجنة توثيق الحركة الشيوعية
المصرية حتى عام ١٩٦٥

الطلبة
فى الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥

(وقائع ورشة العمل
التى عقدت ١٥ - ١٦/١٠/١٩٩٨)

- خالد حمزة
- عدلى عزيز
- فخرى لبيب
- فريد رمزى
- نبيل زكى
- محمد الجندي
- شريف حتاته

تحرير : د. فخرى لبيب
تصدير : د. عاصم الدسوقى

اسم الكتاب : الطلبة فى الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥

اسم المؤلف : مجموعة من المؤلفين

تحرير : فخرى لبيب

إعداد فنى : مركز البحوث العربية

العنوان : ٨ / ١٠ ش متحف النيل - منيل الروضة

تليفون وفاكس : ٣٦٢٠٥١١

الناشر : مركز البحوث العربية

الطبعة : الأولى ٢٠٠٣

رقم الإيداع : 2003 / 8382

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-279-381-4

إعداد فني : هبه حمدى

المحتويات

كان الطلاب فى مصر وما يزالون وقود الحركه الوطنية التى تسعى للاستقلال، وركائز الحركة الشيوعية التى تسعى لتحقيق العدالة الاجتماعية .. يتقدمون الصفوف فى المدرسة وفى الجامعة وفى الشارع وفى الحارة .. صفحة بيضاء قابلة للتشكيل .. وعود أخضر يشتد سريعا.. تركوا مستقبلهم الدراسى وراءهم .. ووضعوا مستقبل الوطن أمامهم، فكان التعثر فى الدراسة أول ثمن غال يدفعونه من حياتهم، وكان عدم دخول الامتحان فى بعض الأحيان يأتى امتثالا لتعليمات التنظيم من باب التخفى والسرية . لكنهم أبدا لم يندموا .. ولم يتحسروا عندما وجدوا زملاءهم يسبقونهم فى الدراسة وفى فرص الحياة العملية. وظلت هذه الصفحة من حياتهم مصدر الفخر كل الفخر لأولادهم ، ولأبناء الوطن، وللأجيال التى أمسكت راية النضال بعدهم.

وهكذا كانت هذه الورشة مناسبة عظيمة لأولئك الذين اندمجوا فى الحركة الشيوعية المصرية وهم طلاب وظلوا فى صفوفها بعد أن تركوا مقاعد الدراسة، استعادوا خلالها بعض ذكريات النشاط السياسى الذى قاموا به منذ منتصف أربعينيات القرن العشرين مع نشاط اللجنة العليا للطلبة والعمال. ولا شك أن ما طرحه قدامى الطلبة هؤلاء فى الورشة يمثل مصدرا مهما لمن يدرس تاريخ الحركة الطلابية فى مصر من ناحية وتاريخ الحركة الشيوعية من ناحية أخرى.

لقد انخرط هؤلاء الطلاب فى صفوف الحركة الشيوعية المصرية انطلاقا من الحركة الوطنية التى كان يتزعمها حزب الوفد ضد الإنجليز وضد أحزاب القصر، و كانت رابطة الشباب الوفدى المدرسة الوطنية الأولى التى تعلموا فيها المبادىء الأولى للكفاح الوطنى من أجل الاستقلال.

وفى الأربعينيات كانت كل قوة من القوى السياسية فى مصر من الأحزاب البرلمانية التقليدية والأخوان المسلمين ومصر الفتاة والشيوعيين تسعى لتجنيد الطلاب فى صفوفها باعتبارهم عمد المستقبل وأركانه. غير أن النشاط الطلابى فى المدارس وفى الجامعة كان يرتبط بالحركة الشيوعية أكثر من ارتباطه بأى قوة سياسية أخرى، وفى منظمة إيسكرا على وجه الخصوص التى كانت أكثر المنظمات احتواء للطلاب. ولم يكن

ينافس الشيوعيين فى المدارس إلا الاخوان المسلمون وخاصة فى المدرسة السعيدية. وفى الجامعة كان الخصم الرئيسى للشيوعيين الأخوان المسلمون فكان الصراع محتدما بين الطرفين ، وكان يكفى أن يقوم الأخوان المسلمون بإبراز الصفة الشيوعية لأحد الطلاب حتى تكون كفيلة بسقوطه فى انتخابات اتحاد الطلاب ، ومع هذا نجح الطلاب الشيوعيون فى الهيمنة على الاتحاد مرات كثيرة.

على أن الصراع مع الإخوان المسلمين لم يكن إلا أحد أوجه المعاناة التى كان يلقاها الطلاب الشيوعيين فى الجامعة وإن كانت الأصعب ، بل إن هؤلاء الطلاب من صغار السن قليلى الخبرة والتجربة كانوا يعانون من الخلاف بين المنظمات الشيوعية التى تنتمى مجموعاتهم إليها من ناحية . ويعانون من ناحية أخرى من عدم ثقة بعض القيادات العمالية التى كانت تعتبر الطلاب بورجوازية صغيرة مترددة بطبيعتها.

وتكشف الورشة حقائق كثيرة من حيث أن نضال الطلاب لم يكن فقط سياسيا، وإنما كان فئويا أيضا يتناول مصالح الطلاب داخل الجامعة من حيث المقررات الدراسية واللوائح والسعى لإنشاء اتحاد عام للطلاب. كما تؤكد المناقشات على أن الديمقراطية المركزية التى هى أسلوب عمل التنظيمات الشيوعية، لم تكن تعنى أن الأعضاء مجرد آلات، بل كانت المعارضة قائمة، والتصرف الفردى يحدث أحيانا فى المواقف الحاسمة دون انتظار تعليمات التنظيم إن لم يكن خلافا للتعليمات. كما تكشف مدى الشجاعة التى كان طلاب الفترة يتحلون بها وعدم خوفهم أو ترددهم من مواجهة السياسيين، بل كانوا يسعون إلى هذه المواجهة مثلما حدث مع إسماعيل صدقى وفؤاد سراج الدين ومحمد صلاح الدين وزير خارجية الوفد بل ومع محمد نجيب عندما زار جامعة القاهرة وكذلك مع جمال عبد الناصر.

أى جيل كان هؤلاء الطلاب .. وأى زمن كانوا ينشطون فيه .. وأى وعى اكتسبوه .. وأى تكوين كانوا عليه .. لقد تعلموا أن تحرير الوطن من المحتل الغاصب يكون مقدمة إلى تحرير المواطن من استغلال رأس المال وسيطرته .. ومن ثم اندفعوا فى طريقهم يحملون قدرهم على أكفهم يدقون بها أبواب المستقبل لمجتمع العدالة والديمقراطية.

د. عاصم الدسوقى

خالد حمزة : رئيس الجلسة

نريد أن نتعرف من خلالك على نشاط الشيوعيين فى الجامعة - وفى الحركة الطلابية عموماً، وما الدروس المستفادة؟ ما الخبرات التى يمكن أن نسجلها؟ نود أن تعطينا أيضاً فكرة عامة عن الحركة الشيوعية ودورها فى الطلبة.

شهادة فريد رحزى

فى البداية كنا جميعاً وفديين. لأنه كان الحزب المسيطر. منذ صغرنا أهالينا وفديين. والدى كان وفدياً، وجميعنا كنا وفديين، فبالتالى بدأ نشاطنا، من خلال حزب الوفد أمام أحزاب الأقلية مثل حزب الأحرار الدستوريين وغيره لم يكن لهم وضعية جماهيرية فى الشارع المصرى، لكنهم كانوا مستوردين، سواء من السراى أو من الإقطاع.

حزب الوفد هو الذى يمثل قوى شعبية فى هذه الفترة. عن طريق حزب الوفد. طبعاً كان الأسلوب الوحيد للمقاومة هو المظاهرات، وسط الطلبة، حيث تنزل فيها الشعارات المعادية للاستعمار، والمعادية لبعض الأفكار الأخرى التى تصدر عن الأحزاب الرجعية مثل الأحرار الدستوريين، وكان الإخوان المسلمون موجودين وبعض تنظيماتهم فى هذه الفترة، لكنهم لم يكونوا بالصورة القوية فى البداية. هذه الفترة كانت فى أوائل الأربعينيات، قبل أن يصل حزب الوفد سنة ١٩٤٢.

فى أوائل الأربعينيات كان الأسلوب الوحيد هو المظاهرات. وكان الشعار الأساسى هو مقاومة الاستعمار.

وكان هناك فى نفس الوقت صراع داخل حزب الوفد نفسه .. لأن حزب الوفد يمثل الطبقات المختلفة فى المجتمع. لم يكن يمثل طبقة شعبية فقط. ومنذ أيام سعد زغلول - لم تكن القوى الشعبية هى المسيطرة - كانت هناك قوى مثل فؤاد سراج الدين وبدراوى عاشور، إلى آخره، هذه قوى رجعية داخل حزب الوفد . ومن أثرها أنه حدث انقسام - مكرم عبيد خرج وكثيرين خرجو مما أدى لسيطرة فؤاد سراج الدين أكثر.

جزء كبير منا خرج من الكتلة الوفدية وعدنا مرة أخرى. لماذا؟ الناحية الثورية عند الإنسان في صغره - مكرم عبيد جذبنا بخطابته في البداية ، لكننا وجدنا شيئا خطيراً جداً في الكتلة الوفدية. مكرم عبيد يركز على أن لا يكون للأقباط سيطرة، في حزب الكتلة - لأن لديه عقدة - أنه قبطي، فبالتالي خرج أقباط كثيرون من حزب الوفد - من الناحية العنصرية - مع مكرم عبيد . ومكرم عبيد كان يقاوم هذه المسألة بأن يعين رؤساء اللجان وسكرتيريها إلى آخره من جهات أخرى غير الأقباط.

نحن لم ننظر لهذه المسألة. نظرنا انحراف مكرم عبيد نفسه عن الخط الأساسي، أي عن الحركة الوطنية نفسها . هو انغمس في عدائه لحزب الوفد في شخصيات معينة مثل زينب الوكيل وفؤاد سراج الدين وأصدر الكتاب الأسود. واقتنعنا أن الكتاب الأسود، أنفقت عليه السرايا لتصدره. وبالتالي إنسلخنا من الكتلة الوفدية. كنا مجموعة كبيرة. أذكر منهم لبيب رمزي، رجائي عبد الملك، حسن صدقي - جزء كبير.

عندما عدنا للوفد، كان اليسار بدأ يظهر في الوفد عن طريق عزيز فهمي ومصطفى موسى، مجموعة الذين كانوا يسمون الطليعة الوفدية. الطليعة الوفدية كان يسيطر عليها بالفعل الفكر اليسارى مع الحركة الوطنية نفسها. وهنا جذبت كثيرين، وهذه ساعدتنا في تكوين لجان في المدارس وفي الجامعة - باسم الطليعة الوفدية - أصبح لها دور مميز عن بقية حزب الوفد، ومن خلال فكر الطليعة الوفدية انضممنا بعد ذلك للأحزاب الاشتراكية.

هذه نبذة - كيف إستطعنا في البداية عن طريق الحركة الوطنية والمقاومة، أن نصل للاحزاب الاشتراكية.

الأحزاب الاشتراكية في البداية. كانت أهم حركة، من منظوري الشخصي، هي حركة ايسكرا . ونحن انضمينا لحركة ايسكرا - مجموعة كبيرة من شبرا - وأذكر منها فتحي خليل واخوته. وأنا وأخي لبيب رمزي وعبد المجيد أبو زيد. كنا شلة كبيرة - في هذا المكان. وكان أساس تركيزنا في البيت عندنا. كان لنا - أنا وأخي - غرف خاصة بالمذاكرة بعيداً عن بيت العائلة، فكان هذا المكان يساعدنا على التجمع بإستمرار.

وبالتالي كان فكرنا تقريباً واحد. حتى إننا عندما كنا نأخذ موقفاً سياسياً، كنت تجدنا جميعاً معه. خرجنا في التكتل الثوري معه– وعدنا من التكتل الثوري لطليعة العمال.

كان الفكر الاشتراكي كدراسة عميقة غير موجود بعد.

إنضميت لا بسكرا سنة ١٩٤٤ وكنا فيها عندما إتحدت مع تنظيمات أخرى وشكلت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني.

الذي جعلنا في هذا الوقت غير واضحين صغر السن. عدم الدراسة العميقة للاشتراكية. الهبة الوطنية هي التي كانت تأخذنا، معاداة الاستعمار. كان يدفعنا الحماس للاشتراكية. هنا يعيب على هذه التنظيمات إنها كانت مهملة في تثقيف كادرها. لم أشعر، بشكل موضوعي، أن ايسكرا أو الحركة الديمقراطية، قامت بتثقيفنا.

التثقيف واجب من الناحية الاشتراكية. لكنها اعتمدت على اندفاعاتنا الوطنية، حتى أن جزءاً كبيرا منا كان يفضل أن يستمر - في الطليعة الوفدية، عن أن يوجد هنا. كانت حركاتنا في التنظيمات الشيوعية مقيدة إلى حدود معينة، إنما في الطليعة الوفدية كانت منطلقة جماهيريا كيفما نشاء.

هنا، عندما خرجنا في التكتل الثوري - حدث لي شئ مؤسف. انعزلت عن الجماهير لفترة - لأنهم اختاروني مسئولاً عن الأجهزة الفنية .. بدلاً من القاهرة، سافرت للإسكندرية في فيلاً مغلقة علي - أنا واثنين آخرين. لا نرى الحياة والناس - كان الذي يأتي لنا الإستنسل والأحبار لنطبع - ونأتي سيارة لأصحاب الفيلا - يأخذون المطبوعات، وهكذا.

شعرت في فترة التكتل الثوري إنني لم أوجد بالشكل الذي أستطيع أن أكتشف فيه أن هذا التكتل شئ خاطئ. كنا مبهورين، مجموعة شبرا، بشخصية شهدي عطية كزميل. وهذا هو الذي دفعنا وراءه في التكتل الثوري سنة ١٩٤٧.

في التكتل الثوري لم تكن لدينا الثقافة الكبيرة، كما قلت، حتى نكتشف أن هذا التكتل شئ يخرب في الحركة الشيوعية. بل كان الزميل شهدي عطية ينظرها ويذكر

تكتلات حدثت في أحزاب شيوعية في العالم. إن الذي جعل التكتل يعيش لفترة معينة - هو أن معظم الكادر الذي كان فيه، لم يكن قادراً على المستوى الثقافي الذي يجعله يشعر بهذه المسألة.

بعد أن خرجنا من التكتل الثوري أصبحنا بين هل نعود للحركة الديمقراطية أو نعود لتنظيمات أخرى؟ فخرجنا مشوشين. وجدنا حركات - حركة (مشمش) وأصبحت هناك كثرة من التنظيمات الصغيرة التي ليست واضحة أمامنا ما دورها بالضبط؟ وبماذا يختلف هذا التنظيم عن ذاك؟ غير إختلاف الأفراد - وهكذا إلى أن تلقفنا أعضاء لطليعة العمال، وعلى رأسهم طبعا حسن صدقي، وانضممنا لطليعة العمال. وظللنا بطليعة العمال حتى الاندماج الذي تم بين الأحزاب.

هنا أعود لفترة .. جماهيريتنا بالنسبة للشارع المصري، قبل أن نتطرق لوحدة الحزب الشيوعي المصري.

كانت لنا جماهيرية كبيرة جداً في شبرا . مجموعتنا - كانت لها شعبية كبيرة في حي شيكولاني وشبرا وروض الفرج. لأننا كنا موزعين على هذه المناطق. ساعد هذا أننا لنا مراكز مختلفة في أحياء شبرا - حي شيكولاني وروض الفرج وأحمد بدوي.

عندما بدأت الحركة الوطنية ونحن منغمسين فيها بشكل قوي وجماهيري، طلب التنظيم منا بدء تكوين لجان في الأحياء. وبالتالي التنظيم أوجدني في سكرتارية ٢١ فبراير، اللجنة الوطنية التي كانت تضم الزميل يوسف المدرك كمسئول وعادل الضبع، كان إدوار لوقا قبل ذلك، وفريد رمزي وسيد ندا. هذه كانت لجنتنا التحضير الحركة الجماهيرية في شبرا مصر. نجحنا إلى حد كبير وكونا لجان في كل حي من الأحياء ومع وجود المسئولين لها وبدأنا النشاط أولاً بمنشورات والكتابة على الجدران. كنا نرمي المنشورات، إما في الترام أو في صناديق البريد تحت عتبات الشقق، وبالتوزيع في المقاهي في بعض الأحيان. كنا نستغل فترة المساء في الكتابة على الجدران في أماكن مختلفة.. اليوم نقول شيكولاني لابد يمتلئ؛ غداً نفق شبرا لابد يكتب كله وهكذا.

كان يقبض على ناس منا، يظلوا كم يوم في القسم ويخرجون، وهكذا.

أنشأنا أيضا لجان نشيطة جداً فى المدارس، للسيطرة عليها، مدرس الثانوى . ولم أكن قد دخلت الجامعة بعد. كنت فى مدرسة النيل الثانوية، كنت فى الأقباط الكبرى، وفصلت منها بسبب المظاهرات والتحقت بالنيل الثانوية.

وكان النشاط السياسى داخل المدارس الثانوية. البدء بشعارات معادية للاستعمار. مثلما كانت موجودة فى هذا الوقت. ومدرستنا نخرج على التوفيقية تذهب لمدرسة الإسماعيلية وهكذا. لكن كان أساس النشاط كله أن نوجه المدارس لمدرسة التوفيقية. مدرسة التوفيقية موجودة فى منتصف شارع شبرا وبالتالى التقائها مهم جداً. لأن باقى المدارس فى أماكن متطرفة، مثلاً شبرا الثانوية فى آخر شارع طوسون. فاروق الأول فى روض الفرج. وهكذا . إنما مدرسة التوفيقية، مدرسة مركزية. طلبتها عدد كبير وكان الدخول لها سهل، عن طريق الملاعب. أن تقفز على سور الملاعب، عندما يكون الباب الرئيسى مغلقًا . وتكون لجنتنا الموجودة، داخل المدرسة مجهزة فكريا، ومجهزة الطلبة فى الداخل حتى يستجيبون مع الطلبة القادمين من الخارج.

الذى ساعد أيضًا عمال شبرا الخيمة. كان عدد كبير منهم يسكن فى الساحل وروض الفرج. فمن هنا عن طريق نقابة عمال النسيج، استطعنا تكوين لجان للعمال فى هذه المناطق يكون هؤلاء همزة الوصل ما بين شبرا الخيمة وبين الحركة الطلابية فى القاهرة. تكون لجنة الطلبة والعمال. أساسًا تحركها. بدأنا نحرك العمال عن طريق عمال الساحل وروض الفرج ونحرك الطلبة عن طريق مدرسة التوفيقية والنيل الثانوية.

من هنا استطعنا النجاح فى تنظيم عمل جماهيرى ضخم جداً فى يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ . كان عملاً كبيراً - لجنة الطلبة والعمال - استطاعت تنظيم جزء من مدارس العباسية عن طريق عادل الضبع- لأنه كان من سكان هذه المنطقة. وبالنسبة للتنظيم، قال إن هذه المنطقة فيها قصور بعض الشئ ونريد تركيز، فتطوعنا أن نقوم بهذا الدور، بالرغم من أنه خارج منطقتنا.

طبعًا لن أذكر كم مرة قبض علينا ونخرج، ويقبض علينا مرة أخرى. نظل عشرة أو خمسة عشر أو عشرين يومًا، وهكذا.

طبعاً من ناحية الدراسة بالنسبة لنا لم تكن منتظمة .. وكنا نتأخر فى تحقيق النجاح.

أنا أول بدايتى فى مدرسة الأقباط والمظاهرات فصلت من المدرسة. ضاعت على سنة الثانوية العامة. التحقت بمدرسة النيل الثانوية وحصلت منها على التوجيهية بعدها اتجهت لكلية الطب. فى كلية الطب فى إعدادى كان فى كلية العلوم فى جامعة فؤاد الأول . فى السنة لأولى طلب منى ترشيح نفسى لعضوية الاتحاد - طبعاً وأنا ذاهب لم أكن أعرف أحدا. لكن تنظيم الزملاء فى كلية العلوم. هم الذين ساعدوا فى نجاحى فى انتخاب الاتحاد فى أول سنة ١٩٤٩.

فى هذه السنة، نتيجة الحركة الوطنية والمظاهرات شكل لى مجلس تأديب وفصلت سنة - وهى أول سنة فى إعدادى كية الطب. فى السنة الثانية، التنظيم طلب منى التركيز فى الدراسة، لأنى لو رسبت فى السنة الثانية سوف أفصل من الجامعة نهائياً.

ففى هذه السنة كان نشاطى محدوداً لحد ما - إلى أن أجتاز السنة الدراسية. وفعلاً اجتزتها وذهبت لكلية طب القصر العينى.

فى كلية طب القصر العينى - كانت هناك مجموعة من الشيوعيين الذين يعتبر تحركهم ضعيفًا وهناك نشيطين. الذى كان نشيطاً وبارزاً معى جداً الزميل رؤوف نظمى. هو كان فى الراية، وكنت فى الطليعة. نحن الاثنين فعلا فى هذه الفترة لم نكن ننظر على أننا تنظيمات مختلفة . بغض النظر، هذا التنظيم يشتم فى ذاك ولكن تعاونا معا فى قلب القصر العينى كان له نضوج بارز إلى حد ما.

طلب منى ترشيح نفسى لعضوية الاتحاد. رشحت نفسى لعضوية الاتحاد، ونجحت. لكن الذى قلل نشاطنا فى الاتحاد أن الأغلبية التى أنتجت كانت من الاخوان المسلمين. كنت أنا الوحيد الشيوعى واثنين مستقلين. الباقين من الإخوان.

عندما أردت ترشيح نفسى فى السنة التالية، رسبت. انتشر عن طريق الإخوان المسلمين، أن هذا رجل مسيحى وشيوعى - كانت هذه الدعاية تعنى أنه لا يصلح للاتحاد. وفعلاً فشلت فى هذه السنة، ولكن النشاط كان مستمراً.

تخلفت فى الدراسة إلى حد ما، فى سنة ثانية طب، أعدت السنة. هذا نتيجة للتركيز فى النشاط السياسى. فى رأيى هذه كانت مسألة سيئة جداً وإنعكست فى نفسيتى بشكل ليس سليماً. لأن المجموعة التى برزت فيها فى كلية الطب، الذين انتخبونى لأول مرة فى الاتحاد، كان هناك التصاق عضوى بهؤلاء الناس. هؤلاء الناس عندما سبقونى بسنة، إنعزلت عنهم لأنى وجدت فى سنة ثانية طب وسط ناس جدد عنى تماماً. نعم يشعرون بنشاطى السياسى، إنما لا يوجد الإرتباط العضوى فى قلب المجموعات. فى مجموعتى لاشك أن هذا أثر على نفسياً وجماهيريا وأحزننى بعض الشئ.

هربت سنة ١٩٥٤ وأنا فى كلية الطب لأنى كنت مطلوباً للاعتقال فى هذه الفترة هربت حوالى سنة. وضاعت علىّ الامتحانات وتخلفت فيها.

بعد ذلك عندما بدأت الانتظام فى الكلية، بدأ الصراع بيننا وبين الإخوان يشتد، بشكل عنيف جداً. لدرجة كانوا يصطادوننا ونحن ندخل الكلية بالاعتداء بالضرب أو سواء فى المدرجات، أو فى المعامل، أو فى المستشفى. أشياء من هذا النوع. وكنا نسمعهم وهم يحرضون الأساتذة علينا - فلان شيوعى - فلان كذا. الظاهرة الموجودة فى كلية الطب تختلف عن كلية العلوم. كلية العلوم كنت أشعر أن الشيوعيين فيها عددهم أكبر، ويمكن ظاهرين أكثر. فى كلية الطب، فى أوائل الخمسينيات. انعكست المسألة، أصبح الإخوان تقريباً هم الذين لهم شبه سيطرة.

فى هذه الفترة قبض على رؤوف نظمى، وقد أحدث ذلك بلا شك فراغاً لدينا فى الكلية.

زميل رؤوف نظمى كان اسمه رؤوف أبو الفرج ومعه فى نفس التنظيم. قد وجدته فى ثورة رهيبة جداً، ويشتم فينا. وعندما سألته عن السبب، قال لى: لم أعد أثق فى الملابس التى أرتديها. كيف يقولون عن رؤوف نظمى إنه بوليس وجاسوس على التنظيم - كان تنظيم الراية قد شكك فى هذه الفترة فعلاً فى رؤوف نظمى فانعكست النتيجة على كل أعضاء الراية الموجودين معنا فى كلية الطب. وقد انفرط معظمهم وبعد عن التنظيم. ولم يعد للراية، تقريباً، وجود يذكر فى كلية الطب بعد رؤوف نظمى. هذه تقريباً معظم الحركة الوطنية التى اشتركت فيها.

خالد حمزة

هبة مارس، هل لديك أى معلومات عن هبة مارس والمؤتمرات التى تمت؟

فريد رمزى

أنا انعزلت فى هذه الفترة، وأصبح نشاطى فى اتجاه آخر بعيداً عن كلية الطب، رغم أننى لم أكمل فيها، لأنى بعد أن خرجت من السجن، لم أستطع الاستمرار فى كلية الطب.

فى عام ١٩٥٦ عام العدوان الثلاثى، حركنا بقايا اللجان التى كانت موجودة، منذ أيام فبراير ١٩٤٦، واستطعنا بسرعة جداً تحريك الناس خصوصا منطقة أحمد بدوى ومنطقة الساحل وقد أنشئت فيها لجان. كان الناس يسهرون طوال الليل فى الشوارع خوفًا من الإشاعة التى نشرت أن الطائرات الإنجليزية سوف تنزل جنودها بالبراشوت على القاهرة فشجعت هذه الفكرة كثيرين، وخصوصا فى هذه الأحياء الشعبية، على ضرورة انتظار الإنجليز عندما يهبطون ليستطيعوا قتلهم أو أسرهم.

نجحنا فعلا فى هذه الفترة فى أن نكتل عددا كبيرا جداً - خصوصا فى منطقة الساحل ومنطقة أحمد بدوى. كان الحماس فيها منقطع النظير. وكلهم، وكل الناس يريدون التدريب على السلاح. ورجال الجيش كانوا قد خصصوا ملاعب مدرسة التوفيقية منطقة التدريب، فكانت تذهب إليها أعداد ضخمة جداً يريدون أن يتدربوا. لكن الملاحظ أن الجيش لم يكن يساعد الناس على التدريب على السلاح. هو شعار أطلقوه، أن الشعب يحمل السلاح ويقاوم من جديد، إنما من الناحية العملية لم يكونوا يدربون الناس. دربوهم على بعض طوابير وجرى وإنما حمل السلاح لم يكن موجوداً.

انتخابات ١٩٥٧ فى هذه الانتخابات طلب منا أن نكون موجودين فى اللجان التى كانت موجودة، والحزب رشح حلمى ياسين كى ينزل الانتخابات.

فطلبوا اختيار دائرة ينزل فيها، فاخترت له الدائرة التى أسكن فيها، دائرة طوسون. طبعًا اشترطت على حلمى ياسين أن يترك باب الخلق ويأتى ليعيش عندى

في الشقة. ليراه الناس موجوداً . كنا نعرف أنه سيحدث اعتراض على حلمي ياسين، لكننا استغلينا هذه الفترة في إنزال الشعارات التي يريد التنظيم إنزالها.

فكنا نكتب لافتات بطول البيوت. ونكتب فيها البرنامج بالكامل. والمنشورات. المسألة أعطتنا نشاطا فوق الوصف ونحن موجودون في الشارع.

في شيكولاني بدأ المرشحون يتقدمون لنا لنساعدهم . وفي روض الفرج ضابط اسمه حمدي كان يتصل بنا أيضاً لنساعده.

كانت جماهيريتنا تفرض نفسها على الشارع.

عندما اعترضوا على حلمي ياسين. كان الموجود مكانه أحمد شفيق أبو عوف.

التنظيم طلب منا مساندة أحمد شفيق أبو عوف- ففعلا تواجدنا معه وتواجدنا مع الضابط حمدي بروض الفرج. الضابط حمدي فشل. إنما أحمد شفيق أبو عوف نجح. وكنا خصصنا له سكرتير خاص هو زميلنا عزت زكي كان مثل ظله. وكنا عن طريق سيطرتنا على الانتخابات في هذه الفترة نزلنا برنامج أحمد شفيق أبو عوف هو برنامج الحزب، الذي يريد أن ينزله في هذه الفترة. أحمد شفيق أبو عوف لم يستطع الاعتراض. لأننا لو تركناه، ما كان لينجح. لأنه من سكان الزمالك وليس من سكان شبرا . فبالتالي استغلينا سنة ١٩٥٧ هذه الفترة. وانعكست في شبرا كل الشعارات التي كنا نريد أن ننزلها بهذا الشكل.

طبعا بعد أن نجح أحمد شفيق أبو عوف، جعلنا زميلنا عزت زكي على اتصال به باستمرار بحيث لو أردنا توجيه أي شئ في المجلس.

أذكر أن انتخابات الوفد عام ١٩٥٠ نزل فيها مصطفى موسى في باب الشعرية كان معركة لأننا كنا نريد مرشحاً يمثل الطلبة في انتخابات النواب التي بها حكومة الوفد، قال فؤاد سراج الدين إنه ليس بقادر على محاربتنا، نزل مصطفى موسى أمام سيد جلال في باب الشعرية. من المعروف أن سيد جلال كان ينتخب باستمرار في باب الشعرية وأقام مستشفى ومدارس ونشاطا والشعب مرتبط به.

طبعًا نحن فى البداية قاومنا أن ننزل فى باب الشعرية، وأردنا أن نضغط من داخل حزب الوفد - بأن مصطفى موسى ينزل فى مكان آخر غير باب الشعرية - لكن سطوة فؤاد سراج الدين - إنه فى باب الشعرية، لأنه لا يريد أن ينزل مرشحًا للطلبة يكون موجوداً فى هذه الفترة.

ركزنا كلنا، الطليعة، مع التنظيمات الشعبية، مع لجاننا الجماهيرية الموجودة فى شبرا، نزلت لباب الشعرية، كانت المظاهرات بدون مبالغة فى حوارى باب الشعرية الضيقة طولها أكثر من كيلو وأحدثنا انقلابا شديداً جداً فى باب الشعرية. سيد جلال أنفق فى هذه الفترة آلاف الجنيهات من أجل أن يظل الناس معه. وفى النهاية كان انتصارا ضخمًا جداً فى هذه المعركة. لقد استطاع الطلبة أن ينجحوا مصطفى موسى فى مواجهة فؤاد سراج الدين، نحن دخلنا المعركة ليس فى مواجهة سيد جلال، ولكن فى مواجهة فؤاد سراج الدين نفسه، حتى تنجح مصطفى موسى فى هذه الفترة. وفعلاً مصطفى موسى نجح بمجهود الطلبة ولجان الطلبة.

أريد أن أبدأ كلامي بملاحظة مهمة تتعلق بما يطرح الآن من البعض في سوق الأفكار وسوق الإعلام والصحافة.

هناك حملة حاليا على الشيوعيين ، هي ساذجة طبعا ، لكن لافتة للنظر، وسوف أضرب لكم مثلين: مثل وحيد عبد المجيد، الذى يعتبر أن أس البلاء فى الأفكار المطروحة فى مصر اليوم هو أن هناك ناس لازالوا متمسكين بأفكار عفا عليها الزمن أفكار شيوعية، وأن هؤلاء الناس لازالوا يحلمون بإحيائها، وأن تعود إلى روسيا، إلى آخر هذه الترهات التى يقولها فى سياق الدفاع عن حلف الأطلنطى.

المثل الثانى: شخص فى صحيفة الأحرار كتب يقول، أن هذه المعركة حول «وليمة لأعشاب البحر» بين الشيوعيين والشيوعيين؛ أى الشيوعيين هم الذين سمحوا بنشر هذه الرواية والشيوعيين الآخرين يدافعون عنها وهم تابعون لفاروق حسنى. وطبعا المواطنون من أمثاله ضحايا فى المنتصف.

على أية حال، فى رأيى، هذه فرصة. ومن هنا أهمية هذه الجلسات، ليس للدفاع، إنما لشن هجوم مضاد على هؤلاء الأدعياء، لأنه من حقكم بوصفكم مواطنين مصريين أن تفخروا بأنه وجد فى مصر مرحلة تاريخية على امتداد سنوات طويلة أناس نادرين من معدن خاص، دافعوا عن الوطن وعن الشعب، ورفعوا لواء الحركة الوطنية وأيضاً رايات الديمقراطية، سواء فى مواجهة الملك فاروق أو فى مواجهة الحكم الديكتاتورى حتى بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢. الدليل على ذلك هو الحركة الطلابية التى تناقشونها حضراتكم، والتى غطى فريد رمزى جانبا مهما جداً منها.

أريد أن أضيف ما تسعفنى به الذاكرة. هو أشار إلى تجربة العمل في الأحزاب الوطنية،هذا مهم جداً. ورأيى أن هذه تجربة جديرة بالدراسة. العمل داخل حزب الوفد من جانب عناصر يسارية. وأيضاً داخل حزب الكتلة الوفدية.

ولعل حضراتكم لا أعرف هل تعرفون أم لا تعرفون أن العمل طبعًا داخل الوفد، ومفهوم أسبابه لأن هذا هو الحزب الوطنى الشعبى الجماهيرى، هو الحزب الذى لابد

من التواجد فيه، لمن يريد أن يعمل بالسياسة وبالعمل الوطني وأثمرت هذه التجربة الطليعة الوفدية وهي تجربة ناجحة بكل المقاييس لأنها أفرزت تياراً قوياً داخل الوفد، تيارا ضاغطا، نجح في إلغاء تشريعات الصحافة وقانون المشبوهين، بقوة ضغط من داخل حزب الوفد، أدت إلى أن يقود عناصر مثل د.مندور ود.عزيز فهمي المعركة ضد فؤاد سراج الدين وضد هذه القوانين المضادة للشعب ونجحت هذه المعركة.

طبعا من خلال منابر مثل رابطة الشباب ومثل جريدة الوفد المصري وجريدة صوت الأمة إلى آخره، نجح الماركسيون في أن يعبروا عن الرأي، يعمقوا خط الوطنية وأيضاً الخط الديمقراطي.

بالنسبة لتجربة الكتلة. هذه بعض جوانب تغيب عن كثير من الأصدقاء. العمل داخل الكتلة كان فعلاً بتكليف من تنظيم طليعة العمال. لم يكن عشوائياً، ناس طرأ في ذهنها أن تذهب للكتلة فذهبت. لم يكن بتكليف.

ما أساس هذا التكليف؟ فكرة شديدة الذكاء وسباقة، أنه رغم الذي فعله مكرم وأنه كان أداة للسراية في الكتاب الأسود وهي قصة تعرفونها حضراتكم، ولعبة أحمد باشا حسنين.. إلا أن الطاقات الوطنية داخل مكرم، لم تنضب بعد. هذه الشخصية الوطنية العملاقة، مازال لديها وطنية لا يمكن إهمالها، وبالتالي المطلوب إعادة مكرم أو تثبيته في صف المعارضة، المعارضة لمشروعات الأحلاف العسكرية والإنجليزية، والمعارضة للملك وإلى آخره.

أنا في تقديري وباختصار شديد لأنه توجد تفاصيل كثيرة هنا عاصرتها، مع مجموعة من الزملاء في داخل الكتلة، كان على رأسهم الزميل الراحل عادل فهمي، خطوة خطوة مع مكرم، كنا نزوره في بيته في منشية البكري، ونتناقش، وفعلاً لمسنا عمق وطنيته، لأنه فعلا كان يعتبر نفسه الابن الحقيقي لما يسمى بالمدرسة الزغلولية، ويحكي لنا عن ثورة ١٩١٩ ويعمق لنا الوطنية. هذه حقيقة، ولا أنسى يوما نظر في صورة عنده لأحمد حسنين وقال «الله يجازي اللي كان السبب» وكان هذا اعترافاً صريحا.

باختصار كانت الحصيلة - أننا الذين رفعنا مكرم على أكتافنا وأدخلناه المجلس الشعبي، لمحولة عقد مصالحة بينه وبين النحاس، لتعزيز جبهة المعارضة الوطنية الديمقراطية ضد الإنجليز، وضد السراية. ونحن الذين جعلناه يدفع إسماعيل باشا صدقي من على السلم وكاد يحبله لكرة، معارضاً مشروع صدقي - بيفن. ونحن الذين جعلناه - وكان مقاطعا مجلس النواب، يذهب للمجلس، وكنا وقتها طلبة، كنا أعضاء فيما يسمى (لجنة طلبة الكتلة الوفدية) ونحن يساريون وكان مكرم يدرك هذا.

وهذه هي العظمة. يتعامل معنا على أننا يسار. لدرجة أنه في يوم جاملنا- وسوف أتي لذلك فيما بعد، وقال تصريحًا خطيرً جداً، فنحن أقنعناه، معارضة ومجلس نواب، لن تترك الأمور، لعملاء السراية وأحزاب الأقلية، لابد أن تذهب لتتكلم. وسمع كلامنا بعد ضغوط، لأن رأيه كان أن هؤلاء حثالة وذهب. وهذه هي المرة التي ذهب فيها ونظر للنواب وقال لهم (أنتم عصابة) ونظر للملك في صورة كانت مكسورة وقال (وهذا زعيمها). هذه هي المرة التي ضربه فيها أبو رحاب بالمركوب داخل مجلس النواب. هذه قصة كان للطلبة اليساريين أو الشيوعيين أو الأصدقاء المنظمات أو... أو... الدور الأول والأخير فيها، وهذا يبين لك ما التأثير الذى يمكن أن يحدثه نشطاء يساريون داخل أحزاب علنية شرعية وطنية... إلى اخره.

طبعاً في هذا اليوم كان متعبًا نفسياً لأنه هزئ به، ضرب بالمركوب من أبى رحاب، فكان واجبنا رفع معنوياته - وكانت الوسيلة الوحيدة أن نفهمه إن موقفه أثار التقدير سنة ١٩٤٩، قبل انتخابات ١١٥٠ مباشرة - كان الحزب السعدى والأحرار الدستوريون يشكلان أغلبية المجلسين - النواب والشيوخ. وكان مكرم أقلية بعد أن استقال من حكومة النقراشي، احتجاجًا على مذبحة كوبرى عباس ضد الطلبة وأيضاً كان هذا تحت تأثير القوى الشيوعية. وهناك وفديون يكتبون الآن ويقولون إنه لم تكن هناك مذبحة، وهذا ليس صحيحاً فالطلاب حدثت لهم مذبحة، وعليهم ان يراجعوا التاريخ مرة أخرى، وفديون المفروض فيهم أن يتبنوا هذا التاريخ الوطنى. جمال بدوى كتب وقت أن كان رئيس تحرير الوفد، منكراً هذه الواقعة.

أنا أشيد هنا بهذه التجربة باعتبار أنك موجود وسط شخصيات سياسية رعمل سياسي.

هناك نقطة تحول مهمة. عندما حدثت انتخابات ١٩٥٠ فاز الوفد باكتساح، فظهرت مخاوفنا كطلبة بأن يقيم مكرم عبيد جبهة مع المهزومين، أى مع السعديين والأحرار الدستوريين، أى مع أحزاب الأقلية وأحزاب السراية. فكان موقفنا أنه لابد من الاعتراف بنتائج هذه الانتخابات، باعتبارها إرادة شعبية. وأن على مكرم أن يحاول إقامة علاقة مع الوفد، أى يؤيد السياسة الصحيحة ويعارض الخطأ. وكان قد سقط كل مرشحى الكتلة وعلى رأسهم مكرم. وهذا طبعًا كان درسًا لمكرم، لأنه راهن قبل ذلك، أيام الكتاب الأسود، على السراية، وكانت لديه وعود، بما فيها أن يصبح رئيسًا لوزراء وليس وزيراً، فاكتشف أنه خدع، واستخدم كأداة لضرب الوفد .

لكن عناد مكرم فى لحظة بعد الانتخابات هو الذى تغلب. فجاءت الحظة الفاصلة بأن تصدر بيانًا سياسيًا، وهذا البيان موجود وأصدره طلبة الكتلة، والذى كتبه الشيوعيون منهم وصاغوا إستقالة مسببة، لأن مكرم أعلن الحرب على حزب الأغلبية، وانضم أو غازل أحزاب الأقية، كرد لهزيمته فى الانتخابات.

هذه التجربة بالنسبة لى كانت تجربة خصبة.

وقد جاء انفصال أحمد قاسم جودة والحمامصى عنه قبل ذلك. نحن فى مرحلة بعد الانتخابات مباشرة. لكننا فى الحقيقة تعرفنا بناس داخل هذا الحزب الصغير، كانوا عناصر وطنيه، انضم عدد منهم بعد ذلك للحركة اليسارية.

فى تقديرى أن هذه الفتره تنقلنى للفترة التى كنت أسير فيها فى شارع جزيرة بدران. كان هناك راديو فى أحد الأكشاك وصوت مصطفى النحاس يقول "من أجل مصر وقعت معاهدة ١٩٣٦، ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بإلغائها، الجماهير صفقت فى الشارع، موقف تاريخى.

تشكلت فى شبرا، لأنى من شبرا أيضًا، اللجنة الوطنية بناء على توجيهات من التنظيم. أنه لابد أن تتشكل فى الأحياء الوطنية، لقيادة معركة ما بعد إلغاء معاهدة

١٩٣٦. كانت هذه اللجنة تضم: إديب ديمتري، و الراحل عبد العزيز فهمي، والراحل رشدي خليل، لجنة صغيرة في منطقة وسط شبرا، أو من أول شبرا حتى دوران روض الفرج. كنت أنا ورشدي طلبة.

هذه اللجنة قادت معركة هامة جداً. وبالمناسبة استمرت هذه المعركة حتى بعد حريق القاهرة، وهذا هو المهم، لم تتوقف. أذكر في يوم انضم لنا الزميل صلاح عبد الوهاب - كان طالبا أيضًا في شبرا، وهو الآن محامي في الأسكندرية. وأحضرنا دماء الغزال، وشعارات ملأت هذه المنطقة ضد الملك شخصياً (دماء الغزال للكتابة باللون الأحمر على الجدران) ونجحنا ولم يتم القبض على أحد منا.

المظاهرة الطلابية الأخرى الكبرى كانت في حريق ٢٦ يناير. وسرنا من الجامعة، في ذلك اليوم عبر مسالك شعبية، لنتجنب المواجهة مع الشرطة، إلى أن وصلنا إلى مجلس الوزراء.

وخطب فينا حافظ شيحة، وقال ستعقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتي ليهدئنا، ووعد أن النحاس سوف يخرج ليحدثنا، لكنه لم يخرج.

في ذلك الوقت، ونحن جميعًا محتشدين أمام رئاسة مجلس الوزراء، جاءنا خبر أن هناك حريق في كازينو بديعة، في ميدان الأوبرا. فذهبنا لنرى الحكاية. فبدأت المظاهرة تتفكك، وسار الناس في اتجاهات مختلفة. طبعًا المنظر كان صادمًا لدرجة أننا لم نعرف ما الذي نفعله؟ أتى بعد ذلك حظر التجول والقصة معروفة.

أذكر في هذه الفترة أيضًا، وأنا أصلا بدأت من مدرسة النيل، أن أول شيوعيين التقيت بهم كانوا الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني، وكان فيهم شخص مازال على قيد الحياة اسمه محيي الدين الأزهري. أخته هي علية زوجة يوسف صديق. ولذلك يوم ٢٢ يوليو، جاء لنا محيي الأزهري وقال لابد أن نكون في الشوارع غداً، سألته لماذا؟ قال لأنه سيحدث حدث مهم.

الانفصال عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني، بهذه المناسبة بالنسبة لي، لم يكن اعتراضاً على سياستها، إطلاقًا، أو تحفظًا على توجهاتها الايديولوجية، كان سببه

أنهم جندوا طالبا فى المدرسة فى ذلك اليوم، وفى اليوم الثانى وضعوا عنده مطبعة. فى اليوم الثالث قبض عليه، هذه الفوضى هى التى جعلتنى ابتعد. هذا الأسلوب من العمل هو الذى جعلنا نغير بعد ذلك. لأنه فى هذا الوقت كنت طبعًا كما حكيت لكم كحدتو، وتعرفت على عادل فهمى هناك وهو الذى أقنعنى بالانضمام للديمقراطية الشعبية.

نعود لموضوع الطلبة. كان مرتضى المراغى وزير الداخلية قد أعلن تصريحاً بعد الانقلاب على حكومة الوفد، قال فيه أنه لا يوجد معتقلين. كان أهم عمل قام به الطلبة فى شبرا فى هذا الوقت أننا أصدرنا منشوراً عنوانه (وزير الداخلية الكذاب) نقول فيه عن الهايكسب وعدد المعتقلين به إلى آخره .أنا أحكى هذه الحكاية لأنها تمثل بالنسبة لى تجربة شخصية فريدة فى نوعها وجميلة. وأنا أوزع المنشور فى منطقة جزيرة بدران عند مصنع مغربى، وكان الباب مغلقا، لكن العمال سيأتون فى الصباح ويجدون المنشورات. ألقيت بعض المنشورات، فرآنى مخبر. فطاردنى فى الشارع المتفرع من جزيرة بدران، فدخلت جزيرة بدران. فعمل الحيلة المعروفة المكشوفة المألوفة (حرامى) لأنه يجرى ورائى، كان الوقت مساء، وكان شارع جزيرة بدران كأنه الساعة الثانية عشرة ظهراً، ملئ بالناس، والمقاهى مزدحمة وكنا فى الصيف. هذا الكلام سابق على ٢٣ يوليو بأسابيع. وأنا أجرى أحد العمال ثبت قدمه... فشعرت أننى سأقع فرميت كل المنشورات التى فى يدى، فتجمع كل الناس لقراءتها. كان المخبر طبعا قد أدركنى. لكن فى هذه اللحظة، قال لى أحد العمال، نحن نفهم لا تخف، لا أحد يستطيع أن يقترب منك. ودلنى على طريقة للسير.

طبعا نشرت الجريدة فى ذلك الوقت هذا الموضوع تحت عنوان (الشعب يحب الشيوعيين). كيف أن الجماهير أطلقت سراح أحد الزملاء وهو يوزع منشوراً.

بالنسبة لموضوع الطلبة، أكبر مظاهرة اشتركت فيها سنة ١٩٥١، هى المظاهرة الشهيرة التى وصفت فى الصحف المصرية وفى مجلة آخر ساعة فى ذلك الوقت بأنها أول مظاهرة شيوعية فى مصر. هى مظاهرة صلاح الدين. كل المدارس تحركت، والجامعة تحركت، وقت أن كانت وزارة الخارجية فى ميدان التحرير. التنسيق كان

ناجحًا لدرجة أن الجامعة - مدارس ثانوي تحركت في نفس الوقت، وذهبنا لميدان التحرير، وخرج لنا د.محمد صلاح الدين وزير الخارجية، الذي لمس من شعاراتنا أننا يساريون، فهتف تسقط روسيا.

في ذلك اليوم طلبنا من أحد الأصدقاء الوفديين أن يتكلم باسم الطلبة، أحمد طرباوي فانكمش، أو قال كلمة ولم يكمل. كان محرجًا - هو وفدي وصلاح الدين وفدي- الذي أنقذ الموقف للأمانة التاريخية كان عادل فهمي، لأنه تكلم كلمة رائعة، سمع صلاح الدين كل كلمة فيها. وأذكر أن عادل فهمي طالبه بقطع المفاوضات مع الإنجليز، لأنهم يتلاعبون بنا، إلى آخره. هنا هتف بعدها محمد صلاح الدين الوزير بسقوط روسيا فرد عليه عادل بهتاف (خائن، خائن، يا صلاح). كانت هذه أقوى مظاهرة حدثت في ذلك الوقت.

أذكر أيضًا مظاهرة ما بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦، التي خرجنا بها من الجامعة، وهذه أضخم مظاهرة خرجت من جامعة القاهرة أو جامعة فؤاد في تاريخها، لأن كل القوى شاركت فيها بدون استثناء وصوت المذيع الراحل أنور المشرى، وهو يغطي هذه المظاهرة، التي سارت في شارع الجيزة، وذهبنا لرئاسة مجلس الوزراء، وخطب فينا مصطفى النحاس واعدا بتحقيق كل مطالب الحركة الوطنية. وربما كانت هذه أول مرة أرى فيها مصطفى النحاس وجها لوجه عن قرب في هذه المظاهرة التاريخية فعلاً.

أنا رأيي أنه في ذلك الوقت، وهذه يمكن نقطة خلاف، أو نقطة جدل داخل تنظيم طليعة العمال، حيث كان داخل تنظيم طليعة العمال الفكرة المعروفة بأن العمال القيادة، وأن الطلبة بورجوازية صغيرة مترددة، هذا كلام فارغ ماذا يعني مترددة؟ وما الخوف من الطلبة البورجوازيين؟ الطلبة حركة وطنية. ولن يخسروا شيئًا. ربما يخاف العامل على أجره. لكن الطلبة لن يخافوا لأن اباءهم وأمهاتهم ينفقون عليهم، لماذا يخافون؟ على الأقل اعتبروهم مثل العمال.

لا نقول أحسن إنما مثلهم، كان هذا جدلا داخل التنظيم. كانت هناك نظرة عدم ثقة. وهذا مهم في موضوع الطلاب. نظرة عدم ثقة للطلبة، سببها في رأيي، عقلية استقلالية

لدى الطلبة ـ هذا موضوع مهم ولابد أن نسجله. أنا فى الجامعة مثلاً ، بتكليف من التنظيم أخوض إضرابً اليوم، أجد الظروف غير مهيأة. الطلبة ليسوا هنا، لا نخرج فى مظاهرة أو نخوض إضراباً اليوم... نفعل ذلك لأننا الذين نعيش الواقع. إن الظروف كلها ناضجة ومهيأة لإضراب ومظاهرة، أخرج. إنن الواقع. أوالذين على الطبيعة كانوا هم الذين يحددون ما يجب عمله، وقيادة التنظيم لا تملك فعل شئ؛ لا تستطيع فصل ناس- لكن تشعر أن هؤلاء بورجوازية صغيرة متمردة أناس ليسوا مهمين.

فى رأيى أيضًا من الأشياء الهامة فى هذا الوقت. نقطة أشار إليها الزميل فريد رمزى غاية فى الأهمية. ربما كانت هذه درساً لكل القيادات رغم الانقسامية فى داخل الحركة الشيوعية فى مصر، إلا أنه فى العمل الجماهيرى لم تكن هناك انقسامية. لم نكن ننظر خلال عملنا الجماهيرى، ما انتماء هذا أو انتماء ذاك؟ كان التنسيق فى ذروته وفى أرقى أشكاله، هذه حقيقة. وكانت قيادات التنظيمات تنظر بتوجس لهذه العملية. إن هذا يمكن أن يكون تمييعا للخط الثورى. كان كل هذا يذوب لا قيمة له لدينا.

كان الطلبة أيضاً يستطيعون فرض ديمقراطية داخل التنظيمات. أقدم مثلا واضحا على هذا، التنظيم الذى كنت أنتمى إليه. نحن رأينا أن تكون هناك وحدة. القيادة رأيها لا. ورشدى خليل قاد هذه المعركة الذى أدى إلى قرار وقف قسم الطلبة كله، وبدء التحقيقات ـ طبعًا لم يهتز أى عضو فى قسم الطلبة كله، إلى أن اكتشفوا سذاجة هذا القرار. كان هذا سنة ١٩٥٣. وكانت التحقيقات، إن هذا العضو يتصل بفلان العضو فى تنظيم آخر. وما سمى بالاتصالات الجانبية والتكتلية والشللية. والحقيقة ناننى أسجل هنا موقف رشدى خليل كقائد فى ذلك الوقت. كان موقفه موقفا بعيد النظر، يتخطى كل ضيق الأفق وكل الحلقية.

طبعا هنا، خالد حمزة قال الدروس المستفادة، من الدروس المستفادة من الحركة الطلابية أننى أرفض أى تعامل أو تنسيق، وأقولها كرأى شخصى، مع الإخوان المسلمين؛ لأن هذه خلاصة تجربتى فى الحركة الطلابية الوطنية.

عندما قامت الثورة جاءنا محمد نجيب للجامعة، وانقسمت قاعة الاحتفالات قسمين: قسم شعاره الرائع (الحرية والسلاح) لاستكمال معارك الفدائيين في قناة السويس، بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦، يتنوع الشعار بعد دقيقة (الحرية والدستور) خوفا من إجراءات ضد الديمقراطية. الإخوان لم يكن هناك سوى شعار واحد. (القرآن هو أساس الحكم) وحدث صدام رهيب بين الفريقين، لدرجة أن محمد نجيب لم يستطع إكمال الخطاب. نحن فوق وهم تحت في قاعة الاحتفالات. وكل فريق يرد بشعار على الآخر.

عبد الناصر جاء بعد ذلك. الإخوان أخذوا درساً مما مضى، استخدموا الجنازير والسلاسل الحديدية، وأحدثوا مجزرة، بعض زملائنا أصيبوا فيها إصابات شديدة قبل حضور عبد الناصر، وجاء عبد الناصر، ووجد المعركة في ذروتها، وحتى هو اضطر أن يقول سنة ١٩٥٢، «نحن سنرسي مبادئنا، وبعد ذلك تريدون إنشاء مجتمع شيوعي، تريدون إنشاء مجتمع رأسمالي - أنتم أحرار»، وهذا كان بعد إلغاء الأحزاب.

أكبر مشهد طلابي شاركت فيه، وشارك فيه كل الطلبة من كل المنظمات هو أزمة مارس ١٩٥٤.

المشهد لم يكن به كرسي واحد خال في قاعة الاحتفالات، بل هناك ناس أكثر، وكان الشعار الرئيسي، يسقط حكم البكباشية عودوا إلى الثكنات. وكان هذا برنامج مجلس قيادة الثورة الذي تراجع عنه، الدستور والأحزاب والبرلمان إلى آخره. في ذلك اليوم خرجنا وقد ووجهت المظاهرة طبعاً بالعنف. وهنا تذكرني بأن مظاهرة إلغاء معاهدة ١٩٣٦، أكملناها حتى بعد أن انتهت، واليساريون في اكتوبر سنة ١٩٥١ أصروا على تكميلها. وذهبنا للمذبح: فأرسل لنا فؤاد سراج الدين قواته لتضربنا بالرش. وهناك طفل كان بجواري أصيب فعلا. عندما أصررنا على الوصول إلى الداخلية. وكان الهتاف. (لمه يضربنا سراج الدين)؟، هو أعطى تعليمات بعد ذلك، إتركوا الطلبة حتى يتعبوا. وفعلاً ظللنا نهتف إلى أن تعبنا داخل وزارة الداخلية وانصرفنا لكننا قلنا كل ما نريد.

العنف الذي ووجهنا به في مظاهرة ١٩٥٤، وقد قال لي بعض الزملاء، بعد ذلك أن هناك ناس أصيبت وناس ماتت. لكن لم أستطع التأكد من هذا عندما تشتتنا.

أنا دخلت الجامعة سنة ١٩٥١/٥٠ وتخرجت في ١٩٥٥/٥٤. رغم هذه المتاعب لم أرسب في أي سنة. لكن تعرضت لأول مرة في حياتي القبض عليَّ وأنا في مدرسة النيل سنة ١٩٥٠. كان يوم السودان. وكنا حضرنا منشورات، فجاءوا لي في البيت وأخذوني لقسم الأزبكية.

وكانت هذه أول مرة. طبعًا، خرجت في هذه الفترة في الوقت الذي كانوا يستعدون فيه لإرسالي المحافظة والنيابة خرجت بواسطة. لأن خالي كان يعمل في بنك مصر ويعرف شقيق فؤاد سراج الدين. فأخذ كارت منه وخرجت بالواسطة، مع تحذيرات من خالي ألا أعمل بالسياسة. هو نفسه جاء لي بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في البيت، وقال لي النحاس باشا يقول عن العسكر إنهم بلدوزر يدوس كل شئ أمامه، الوضع السابق اختلف، أي حين كان يحذرني. هذه كانت العقلية الموجودة في الطبقة الوسطى.

بعد ذلك أخذت درسًا من حكاية سنة ١٩٥٠ يوم السودان. عندما حدث حريق يناير اختفيت من نفسي. لم يقل لي أحد ذلك. وفعلا جاءوا لي البيت وأيضاً في ١٩٥٤، ولم يجدوني.

لكن من الأشياء اللطيفة في هذا الوقت، والتي تلفت النظر، أن القبضة البوليسية لم تكن بعد محكمة. رغم أنهم جاءوا إلى البيت وأنا أنيم في مكان آخر. فإنني امتحنت في نهاية العام ولم يقبض علي . وأنا مدرك أنني أقدم على مخاطرة.

لكن أهم تجربة بالنسبة لي في فترة الدراسة في كلية الآداب التي استغرقت أربع سنوات، هي الجمعية الفلسفية. أنت تريد شكلا تنشط من خلاله نشاطًا فكريًا وسياسيًا وثقافيًا. فكان تأسيس هذه الجمعية الفلسفية داخل كلية الآداب.

ذروة النجاح كانت ندوة عنوانها (بين العلم والفلسفة) دعينا لها: د.عبد العظيم أنيس من كلية العلوم، عادل ثابت كلية العلوم، د. محمد صقر خفاجة، د. عثمان أمين، د.توفيق الطويل، مجموعة ضد بعضهم في ندوة. نجاح الجمعية بلغ ذروته في هذا المجال إلى درجة أنه لو تذكرون فرحات عمر، الذي كان يمثل دور دكتور شديد في التليفزيون، كان زميلي في الآداب. فعندما انفضت الندوة بنجاح مذهل، والناس منصرفة والطلبة وقف فوق مقعد في المدرج وهتف تسقط الشيوعية. طبعاً لم يرد عليه أحد. كان هذا رد فعل لنجاح الندوة.

وحدثت حملة ١٩٥٤ . ضد فصل الأساتذة، كل استاذ وطنى ديمقراطى تقدمى، يسارى، فصل. وكان منهم معيد صديقى فى قسم الاجتماع اسمه محمد شريف، سمعت الآن – أنه دبلوماسى فى السفارة المصرية فى واشنطن،

نحن درسنا الموقف. ماذا يفعل الطلبة؟ وسوف أقول لكم شيئاً ستندهشون له. وجدنا أن الشخص الذى يمكن أن ندير حوله معركة لأنه محبوب وله جماهيرية هو د.محمد أنيس، أستاذ التاريخ بقسم التاريخ فى كلية الآداب. فأقنعنا الطلبة أن يضربوا احتجاجًا على فصله. لم يكن ممكناً أحد آخر، أنت تعرف قوتك وتعرف ما الذى تنجح فيه وتفشل فيه. وأعتقد أن هذه معركة نموذجية؛ لأن نجاحنا فى أن الأستاذ الوحيد الذى أعيد بعد فصله كان محمد أنيس. ونجح الإضراب ونجح الهدف منه. أعتقد أن هذه العملية كانت نجاحا «الجمعية الفلسفية» بدليل اننى استدعيت، وأنا لا أزال طالبًا لقسم البقى. طلبتنى المباحث فى قسم البقى، باختصار ضابط المباحث هناك قال لى : بعد كم شهرا تتخرج؟ فسألته: ما الموضوع؟ قال لى : نحن حللنا الجمعية الفلسفية. فسألته هل صادرتم أموالها؟ طبعًا هى ليس لها أموال. فقال لى: ممنوع أى نشاط فى هذه الجمعية، اعتبرها كأن لم تكن. وكان يبدو أن الضابط يحاول أن ينبع معى طريقة لينة. قال لى : أنت لا تعرف الوضع فى البلد. على الكرسى الذى تجلس عليه، كان عندى أمس صلاح سالم، وقال لى : أى ولد فى الجامعة يسبب ضجة، هاته لى هنا، وأنا (......) واستخدم كلمة مبتذلة لا أستطيع أن أقولها. قال لى: هذا عضو مجلس قيادة الثورة، واستخدم هذا اللفظ البذئ، فانتبهوا لأن هؤلاء يريدون الانتقام منكم. فهم لم ينسوا المواقف التى أخذها الطلبة قبل ذلك، أى ما معناه يضمرون لكم الكثير.

أعتقد من الأشياء الإيجابية التى كانت فى هذه الفترة كلها على امتدادها، أننا كنا نستطيع العمل ومواصلة النضال حتى ونحن هاربين، حتى ونحن مطلوب القبض علينا.

من الدروس المستفادة أيضاً درس مهم يتعلق بالاتحاد العام للطلبة المصريين.

فى أواخر ١٩٥٢ بدأنا نتحرك على أساس أنه لابد من تشكيل اتحاد عام للطلاب المصريين. لماذا يوجد اتحاد للعمال ولا يوجد اتحاد للطلاب، من الجامعة ومن الثانوى؟ كان معى صديق زميل فى كلية الهندسة هو حسنى بخيت، تحرك معى. وتحرك معى فى هذا طالب كان فى تجارة هو نسيم يوسف ومجموعة أخرى. وشكلنا لجاناً فى بعض المدارس وبعض الكليات. بحيث يكون هؤلاء قاعدة لاتحاد عام الطلبة. ثم فكرنا أنه لابد من إصدار جريدة كمنبر لهذا الاتحاد. وفكرنا فى الاسم ووجدنا أن اسم (وحدة الطلبة) أفضل اسم. وذهبنا لمطبعة فى شارع إبراهيم باشا بجوار وش البركة، واتفقنا.

ثم خطر فى ذهننا، أنا وحسنى، ألطف فكرة .. أن العدد الأول لابد أن يكون قوياً. ونريد شخصية كبيرة تتبنى فكرة اتحاد عام لطلبة المصريين. شخصية عملاقة، ويكون د. طه حسين.

وعرفنا كيف نرتب اتفاقًا معه. وذهبنا أنا وحسنى. وأعتز بهذا اللقاء حتى الآن اعتزازاً شديداً جداً ولا أنساه أبداً. الرجل قابلنا بكل أدب واحترام، وهو يرتدى البدلة الكاملة كعادته. يوم صدور العدد الأول من «وحدة الطلبة»، كان يوم صدور قرار حل الأحزاب فى مصر، يناير ١٩٥٣. لأن هذا اليوم لن أنساه. قلنا كيف نوزع المجلة بعد هذا القرار؟ لكننا وزعناها.

المهم كلام طه حسين عن ديمقراطية التعليم وحق المواطن فى أن يتعلم مجانا والتعليم كالماء والهواء، وأذكر من الأشياء الرائعة التى قالها ولا تنسى، قال: كيف، يقدم المواطن للدولة حياته عندما يلبى نداء الدفاع عن الوطن، يضع روحه على كفه ويمكن أن يموت، وبعد ذلك تبخل الدولة على تعليمه وتبنى فكرة اتحاد عام الطلاب المصريين وأعلن مباركته لها. وكان هذا هو المانشيت بالطبع.

العدد الأول لازلت أحتفظ بنسخه منه، ويتصدره حديث د. طه حسين مع نبيل زكى وحسنى ويصا بخيت. ويتضمن مقالات لأساتذة آخرين. ويتضمن مقالا للأستاذ المعيد بقسم الاجتماع محمد شريف وأساتذة وطلبة آخرين، ومشروع برنامج مطروح على الطلبة لاتحاد عام الطلبة المصريين وشرح للفكرة.

أعتقد أيضاً أن هذه التجربة من التجارب لتى أعتز بها فى تلك الفترة.

أكبر مظاهرة، قبل أن أترك الجامعة. كانت فى ١٩٥٤ وما أعقبها.

طبعا رغم أن الحركة الطلابية ضربت بعنف، إلا أننا استطعنا الاستمرار. أذكر أننا عقدنا مؤتمراً فى كلية الحقوق. جاء فيه عمرو محيى الدين لكى يخطب، أين خالد محيى الدين؟ إبان أزمة مارس، قمنا بإثارة وسط الطلبة. إن خالد محيى الدين اختفى.

كان قد نفى إلى سويسرا ولم تكن التفاصيل معروفة بعد. لكننا نجحنا فى حشد الطلبة، حول معرفة أين خالد محيى الدين؟ وأثار أزمة مارس ١٩٥٤.

خالد حمزة

العمل السرى فى الجامعة. هل كانت هناك خلايا طلابية؟

نبيل زكى

كان هناك عدد من العناصر نحن نعرف أنهم أعضاء ولا نتحدث معهم فى الكلية لأن هؤلاء كانوا يمارسون عملاً سرياً يتعلق مثلاً بمطبعة، وكان محظوراً عليهم ممارسة أى عمل جماهيرى.

كان منجد توفيق فى كلية علوم جامعة عين شمس، ومن ضمن ذكرياته الطلابية، شئ لا أنساه أبداً، قال لى : نحن أعضاء التنظيم فى كلية العلوم كنا سبعة. عميد الكلية حكى له بعد ذلك. عندما صفا الجو، أن تقرير المباحث عن هذه الكلية، أن بها ثلاثمائة شيوعى. هذا يبين لك حجم العمل وحجم النشاط. لأن هذا العدد كان مؤثراً فعالاً ويستطيع أن يحرك جموعا بحيث يوهم أجهزة الدولة أنهم على الأقل ثلاثمائة.

كنا نستطيع التفرقة بين العمل السرى والعمل الجماهيرى ولم يختلطاً ببعض حرصاً على عدم ضرب العمل الجماهيرى وأيضاً ألا يضرب العمل السرى.

خالد حمزة

هل كانت هناك خلايا نوعية طلابية ؟

نبيل زكي

منذ البداية تلاحظون أننى عندما تكلمت عن الجنة الوطنية التى تشكلت فى شبرا بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦، فإنها كانت لجنة تابعة للحى. بعد ذلك كان التنظيم النوعى، أن يكون الطلبة مع بعضهم البعض. كذلك قسم الطلبة الذى حكيت لكم كيف أوقف. كان هذا تطوراً فى أسلوب العمل، أن يكون هناك قسم للطبة وحدهم حتى يستطيعون التنسيق معاً وربما هذا أفاد ناحية وأضر فى ناحية. لكن هذا هو ما حدث.

بعد ذلك، من بين الأشياء التى أفادتنى فى فترة مبكرة، فى بداية ممارستى لهذا العمل كنت فى مجموعات بها عمال. حقيقة لا أنسى هؤلاء العمال. لأنهم كانوا نماذج عالية. مثلاً كنت أجلس مع الزعفرانى والحاج طه، من الشرابية. كان البوليس شمع مصنعه فى الظاهر. كنا نقفز من فوق السطح وندخل داخل المصنع الشمع ونعقد اجتماعا داخله.

وأذكر فى مرة هذا العامل المثقف أحضر لى المجموعة الكاملة لمجلة الفجر الجديد من العدد الأول للأخير. وللأسف البوليس أخذها سرة من البيت، عندما جاء للتفتيش رغم أنها كانت مجلة علنية، حتى أغلقها إسماعيل باشا صدقى، حرصا منه على أن أتابع حتى التاريخ الذى فاتنى. الفجر الجديد كانت تصدر ٤٥/ ١٩٤٦، كان رئيس تحريرها أحمد رشدى صالح وسكرتير التحرير أبو سيف يوسف. فكان هناك اهتمام عند هذا العامل المثقف، بالثقافة. وكنت عندما أجلس فى اجتماع مع الزعفرانى أجده يقسم المصنع، يقول هؤلاء كذا وهؤلاء كذا، وهؤلاء ممكن العمل معهم، وهؤلاء مترددين بعض الشئ، لكن ممكن نكسبهم. كانت خريطة المصنع أمامه يحفظها. كان قائداً حقيقيا، أنا استفدت من فترة احتكاك الطلبة بالعمال لأقصى حد وتعلمت منهم، ولا تندهشوا من الذى سأقوله، التفكير العلمى.

مصطفى مجدى الجمال

تكلمت عن تجربة المجموعة الأولى التى عملت فى الكتلة الوفدية، وأضع هذا بجوار نقطة أخرى قلتها، وهى أنه كان هناك تنسيق كامل فى الحركة الجماهيرية أو فى

الحركة الطلابية بين الاتجاهات المختلفة. كيف كان يتم هذا بينما ناس تعمل فى الكتلة الوفدية ومجموعة شيوعيين، أنت لا هنا ولا هنا . ألم يحدث ذلك تصادمات.

نبيل زكى

التنسيق الذى تكلمت عنه فى العمل الجماهيرى بمعنى أننى أنا مثلاً فى مدرسة النيل، لا أنتظر حدتو تقول لى نسق مع الراية أو كذا، العمل الجماهيرى يفرض نفسه. مثلاً رئيس حكومة أو إنجليزى أو الملك قال شيئاً يتحدى المشاعر الوطنية... نقرر الرد لا ننتظر، لا أحد ينتظر تعليمات.

وبالمناسبة، البعض الذى يكتب الآن من أعداء الماركسية يقول، المركزية الديمقراطية ما معناه كأن هؤلاء البشر آلات. هذا غير صحيح؛ نحن لم نكن آلات، ولا كنا كذلك طوال عمرنا، بل بالعكس؛ كنا نتحدى القيادات، كنا نفعل ما نريد، والذى يعجبه يعجبه والذى لا يعجبه هو حر. ولم نكن نحترم القيادات بهذا المعنى إطلاقاً. هذه حقيقة عشتها. الآن هناك صوره مشوهة عن هذه الفترة وعن التنظيمات، أولاً فى حدتو كان تسيبا، لدرجة أنه لا يوجد شئ اسمه عبادة أفراد أو... غير صحيح.

نأتى لموضوع العلاقة مع الاتحاد السوفيتى. أيضاً من الناحية الفكرية. وبالذات العناصر الجماهيرية للأمانة، سواء من المثقفين أو العمال، يقول الاتحاد السوفيتى: ليست قضية، وهذه كانت واضحة أيام يوليو. الاتحاد السوفيتى يقول كذا، ما معناه نسير حسب هذا الكلام. هناك ناس كانت تقول طز، ناس كثيرين ليسوا قليلين، لكن بشرط كانوا فى المعترك الجماهيرى، الذى يوجههم مصالح الجماهير وليس مصالح الاتحاد السوفيتى. هذه هى النقطة. ولذلك طرح فى بعض المنتديات، لأنه كانت الحركة الماركسية تفككت فى مصر.

طرحت فى بعض المنتديات قضية انتهاء الاتحاد السوفيتى، فأنا أذكر عامل فى منطقة شرق، منطقة فخرى لبيب، وقف وقال عبارة من أجمل ما يمكن.. قال: أحسن إننا خلصنا منه، كنا محسوبين عليه بالغلط، وبالنسبة لنا الاتحاد السوفيتى يعيش أو يتفكك لا يوجد فرق عندنا، بالعكس هذا أفضل.

أريد هنا أن أعبر عن عناصر العقلية الجماهيرية، كانت محتكة بالواقع. ربما كانت تحترم الدور الذى لعبه الاتحاد السوفيتى ضد الفاشية، وهذا كان أبرز شئ يدعو للاحترام. لدولة اسمها الاتحاد السوفيتى. التضحيات التى قدمها الشعب السوفيتى فى المعركة ضد هتلر. لكن بالنسبة للنظام الداخلى السوفيتى، أذكر صديقنا الجماهيرى نور غنيم، قابلنى فى شارع شبرا مرة بالصدفة، سنة ١٩٦٧، فقال لى، إنت قادم حالا من موسكو وهذه أول زيارة للاتحاد السوفيتى. فأجبته بالإيجاب. قال لى :ما رأيك فى الحزب الشيوعى السوفيتى؟ هو ذكرنى بهذه الحكاية هذه الأيام.، قلت له: لا يفرق كثيراً عن الاتحاد الاشتراكى العربى، كنت ناسيًا هذه الحكاية وهو أتى لبيتى وذكرنى بها، هذا يبين لك عقلية لم تكن تابعة فكرياً كما يتصور بعض الناس.

طبعا ممكن يكون بعض زملائنا كان لديهم ميل للتبعية الفكرية، لكن ليس كل الناس هكذا، هذه حقيقة، وتعميم هذه التهمة، تهمة التبعية الفكرية كان خطأ.

فأنا أقصد بالتنسيق، أنه فى أى عمل جماهيرى، مناسبة ما، فى الجامعة، فى المدرسة. لم نكن ننتظر التنظيم يقول لنا اتفقوا مع زملائكم فى التنظيم الآخر أو لا تتفقوا. نحن كنا نفعل هذا. وهذا العمل كان يفرض نفسه، وهذه كانت طبيعة الأمور دون الرجوع لأية قيادات، هذا ما أعنيه بالتنظيم

بالنسبة للوفد أو الكتلة، هناك زملاء كانوا يعملون فى الوفد، هذا الخط المعروف، تعميق التوجيهات الوطنية والديمقراطية، وأى ميل لمهادنة مع السراى لابد من محاربته، نفس الشئ هذا الخط العام فى داخل الكتلة، هؤلاء هنا وهؤلاء هناك، لا تصادم.

خالد حمزة

بالنسبة العلاقة مع الإخوان فى الجامعة، هناك مؤتمر عقد بالتعاون بين الإخوان والوفديين والشيوعيين سنة ١٩٥٤، اليوم الذى حدث فيه أن وحيد رمضان دخل الجامعة بعربة چيب وفجر قنبلة داخل الجامعة، ما معلوماتك عن هذا المؤتمر أو هذا اليوم؟

نبيل زكى

الذى حدث فى هذه الحكاية، لم يكن هناك تنسيق. عندما تعقد مؤتمراً يأتى لك ناس من اتجاهات أخرى متفقين مع الذى ستقوله، لن تقول لهم انصرفوا بل تفضلوا

أهلاً وسهلاً. يا ريت، فهذا الذي حدث في ذلك اليوم أن هناك حركة، هناك نشاط طلابي، هناك تجمع واحتشاد، هناك تأهب لإضراب ومظاهرة.

خالد حمزة

في هذا اليوم حدث اتفاق ما بين الإخوان والشيوعيين والوفديين أن يتكلم كل منهم، وتحددت أسماء مندوبي كل جهة، وكان المفروض أن يتكلم عادل فهمي في هذا اليوم نيابة عن الشيوعيين، ولظروف لم يستطع دخول الجامعة، فتكلمت أنا عن الشيوعيين في هذا اليوم باتفاق مسبق أن كل من هذه التنظيمات يكون لها مندوب.

نبيل زكي

ليس لدى أي معلومات عن وجود اتفاق مسبق. طبعاً في خلال العمل الطلابي على مدى السنوات، كان هناك دائماً اتجاهات حتى داخل الحركة الشيوعية بوجه عام وداخل التنظيمات بوجه عام، اتجاه يحذر من التعامل مع الإخوان في ضوء التجارب، وكان هذا الاتجاه دائماً يردد التجربة التي ربما يتذكرها فريد جيداً عندما كان الملك مقدماً على ضرب الحركة الوطنية واستعان بإسماعيل باشا صدقي، فوقف خطيب الإخوان وقال إن «إسماعيل كان صديقاً»، هذه العبارة أحدثت فجوة خطيرة بين الإخوان وبين باقي الفصائل الوطنية.

فريد رمزي

رددت يوم أن جاء الملك ليفتتح مدينة سكنية للطلبة، كانت الزينة الموضوعة حول القبة تكسرت كل الكهارب وإلهامي سيف النصر شد صورة الملك وداس عليها بقدمه، وحتى يستمر الحدث إلى أن يأتي الملك، أحضرنا ثلاثة خراطيم للحريق، ظلت أكثر من ثلاث ساعات مفتوحة على المدينة التي سيفتتحها. البوليس ظل في الخارج يقاوم، ولم نستطع الخروج، تركونا حتى الساعة الثالثة أو الثالثة ونصف. الطلبة الآخرين كلهم انصرفوا فبدأنا نخرج، هذا حدث مهم جداً.

نبيل زكي

بعدها توجت بمظاهرات يسقط عفيفي وحافظ عفيفي ولا ملك إلا الله.

فريد رمزى

أذكر أن المظاهرات ستمرت حتى يوم حريق القاهرة، خرجنا في المظاهرات من القصر العيني، وكنتم خرجتم بمظاهرات لوسط البلد، ذهبنا لعابدين، لسراى عابدين، كنا نعرف أن الضباط أعدت لهم مأدبة عنده، فكنا نهتف لا ملك إلا الله. وفي النهاية، شخص هتف تحيا الجمهورية، لكن قالها مرة واحدة، إنما ظللنا نقول لا ملك إلا الله، وفي النهاية هتفنا (أين أمك يا ابن العاهرة؟) كانت أمه أيامها في أمريكا وكانت فضائحها منتشرة، في هذا الوقت سمعنا عن حريق القاهرة، فنزلنا من شارع الجمهورية للقاهرة.

بعد ١٩٥٢، وعندما قامت الثورة حلت الأحزاب، ذهبنا مندوبين فعلا عن الطليعة الوفدية، والشيوعيين، ذهبنا للقيادة، إلى وزارة الدفاع الآن، وطلبنا أن نقابل القيادة. أدخلونا، ووجدنا صفين عساكر بالرشاشات اصطفوا وراءنا، ونزل عبد الناصر وعبد الحكيم عامر أول مرة مواجهة، وقفوا على السلالم، فقلنا لهم: نحن سمعنا عن حل الأحزاب، ونحن طليعة وفدية وشيوعيين ونرفض هذا، فقال جمال عبد الناصر : من الذى قال لكم هذا؟ أعداء الثورة، هم الذين يشيعون عنا ذلك؟ إنما نحن قلنا أن هذه مرحلة معينة، ثم سنعود لثكناتنا والأحزاب ستتولى، لكنها ستكون أحزابًا وطنية ونظيفة. أنا أتذكر هذا الحدث قبل حل الأحزاب.

نبيل زكى

هنا كشهادة لابد أن أقولها: إن الفترة التى كنت فيها فى الجامعة الأربع سنوات من ١٩٥١/٥٠ - حتى ١٩٥٥/٥٤ سنة تخرجي، كان اليسار هو قائد العمل الطلابي في الجامعة؛ جامعة القاهرة، بلا منازع ودور الإخوان تخريبي. المرة الوحيدة التى شاركوا دون اتفاق هى "يسقط حكم البكباشية" كان هناك طبعًا إحساس مسبق بالخطر بالنسبة للديمقراطية.

مصطفى مجدى الجمال

أريد أن أسأل سؤالاً صعبًا بعض الشئ: هل التنظيمات بما فيها طليعة العمال كانت لها استراتيجية واضحة للعمل وسط الطلبة أم لم تكن واضحة؟ أى هل كان مثلاً

موجة نشاط طلابى أم كانت تنظيمات. أنتم تستشعرون أن لها رؤية؟ سوف أضرب مثلاً، الذين كانوا فى حدتو كانوا يعتبرون أن الطلبة الريفيين الذين يتم تجنيدهم، هم رأس جسر يستطيعون أن يعملوا عن طريقهم فى القرى، مثال حسين عبد ربه وعبد الله الزغبى مثلاً، هل كانت العلاقة فيها شئ من الوضوح؟ ما المقصود من الحركة الطلابية؟ أم هى مجرد رفع صوت التنظيم وكسب أعضاء جدد؟ وهل كان هناك ترحيب بأى كم من الأعضاء الجدد، أم هناك خوف من ازدياد نفوذ البورجوازية الصغيرة فى الداخل؟ أى هل كانت هناك رؤية للتنظيم فى مسألة العمل وسط الطلبة، أم كانت متروكة للتلقائية بشكل عام؟

نبيل زكى

بالنسبة للرؤية كانت هناك رؤية عبرت عنها وثيقة اسمها "الرسالة السياسية"، كانت تتضمن برنامجاً للعمل، وكانت هناك مهام للطبقة العاملة والحركة الطلابية و.. و.. إلى آخره. هذا بالنسبة لتنظيم طليعة العمال، مهام تتعلق بإحباط المشاريع الاستعمارية والأحلاف العسكرية مكرسة الوضع فى المجتمع وخاصة بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى آخره، لأنك تعرف أننا مررنا بمرحلتين : المرحلة الأولى بعد ٢٣ يوليو مباشرة كان تشخيصنا للوضع أنها ديكتاتورية عسكرية، أى التحول لم يحدث إلا بعد باندونج. زملاؤنا فى الراية قالوا هذه فاشية وعملاء و .. إلى آخره بالنسبة لحدتو تأييد، ثم معارضة، ثم تأييد.

لكن بالنسبة للتجنيد، سؤالك دقيق جداً، كان يتوقف على كل تنظيم، يختلف، مثلاً كان أسهل أن تنضم لحدتو. أصعب، أن تنضم لطليعة العمال، كان هناك حذر أكثر وتدقيق. أى كان مثلاً المرشح العضوية يظل مرشحاً حوالى خمس أو ست سنوات مرشحاً ولا يصبح عضواً. فهناك تشديد قطبع على أساس افتراض طبعاً، أن العدو الطبقى يرسل عملاءه لضرب المنظمة من الداخل، فلابد من التدقيق.

وكان الأصعب هنا أن نختار شخصاً، ليكون كادراً سرياً لأنك لم تختبره فى العمل الجماهيرى، بينما أسهل لك شخص قادم من العمل الجماهيرى، فمواقفه معروفة لن

يظل يمثل عليك سنوات، لينضم للمنظمة ويخوض معارك، فهذه فى النقطة. لذلك إتهمت طليعة العمال بأنها انكماشية، فى هذا الجانب، أو مغلقة على نفسها.

مصطفى مجدى الجمال

بالنسبة للعضوية ككل أو بالنسبة للطلبة بشكل أكبر؟

نبيل زكى

لا. ككل. لكن طبعاً ممكن أن تقول إنه كان هناك حذر أكثر بالنسبة الطلبة.

فريد رمزى

أتذكر حدثا رهيبا جداً أيام وحدة الحزب، لأننا كنا نقود العمل الجماهيرى وستتم الوحدة مع الراية. كنت مسئول تنظيم منطقة شبرا. كان قد جاءنى تكليف من حلمى ياسين، نريد أكبر عدد ممكن ينضم لنكون نحن الأغلبية، طبعا نتيجة هذا كل الجواسيس و... انضموا للتنظيم لنقول أن عددنا أكبر من الراية.

نبيل زكى

هذا كلام مهم، لأن اليوم مثلاً عندما تجلس مع زميل كان طليعة عمال يقول لك: كانت الوحدة خطأ ؛ لأنها كشفت الأعضاء. التنظيم طوال عمره يضرب، لكن لم يصف لكن الوحدة جعلت كله يكشف، كله أصبح عند البوليس، فسهل عملية التصفية.

فريد رمزى

كنا فى منطقة شبرا جاء حلمى ياسين، أنا كنت مسئول التنظيم، فقلت له : أنا مشغول .. كنت مشغولا فى الدراسة فى كلية الطب. فرفيعة النحاس قالت : أنا أرشح نبيل زكى، فقلت له: موافق، قال لا نحن لا نضمن نبيل زكى، نحن نضمن فريد رمزى، لأثبت لك أن طليعة العمال لم تكن منغلقة.

حنان رمضان

أ. نبيل قال فكرة القيادة ، أننا كنا نفعل الذى نريده بدون تكليفات.

خالد حمزة

على سبيل المثال كنت فى الحركة الطلابية وكن سكرتير الحزب الشيوعى الإيطالى سيزور مصر. فجاءنى تكليف بعمل إضراب والذهاب للمطار لاستقبال سكرتير الحزب الشيوعى الإيطالى، فكيف أفعل ذلك الإضراب؟ هذا تكليف لم أنفذه، لا أقصد ألا أفعله، لكننى لن أستطيع فعله.

فريد رمزى

كان هناك تكليف آخر، كان الرفيق خالد بكداش من سوريا قادما، وذهبنا للمطار كانت المدام عندي حامل و... ولم أذهب.

إذا كانت الجماهير لديها تلقائية، فالمنظمون لن يكون لديهم هذه التلقائية.

العمل الجماهيرى فى زمننا يشترط حدوث كيت وكيت. ما الذى ينجحنى فى العمل الجماهيرى ؟ لابد أن يكون لى فكر مستقل، لا يتعارض مع خط الحزب، ولكن يعطينى حرية التصرف. فى هذا الوقت لابد أن أقرر فى ثانية ماذا أفعل؟ لن أنتظر الذهاب للمسئول التنظيمى وأقول له: هناك موضوع كذا كذا، كيف أتصرف؟ أتصرف على مسئوليتى .. عندما ينجح الحزب يعتبر هذا النجاح له، وعندما نفشل يقولون حدث هذا لأنك خرجت على خط الحزب.

نبيل زكى

تعليقا على كلامك، بالنسبة للتصعيد فى التنظيم، هم مثلاً يختارون شخصا عضو مؤتمر أو عضو قيادة طبعا. هم متحكمون ولا تستطيع أنت كقاعدة أو عضو أو قائد جماهيرى لا تستطيع أن تتحكم. لكن فى العمل الجماهيرى الوضع يختلف. مثلاً أذكر، لم يتم تصعيدى لأى مسئولية، إلا عندما حدث المؤتمر العام لحزب العمال والفلاحين، عندما تحولت طليعة العمال لحزب العمال والفلاحين. كان لابد أن تحدث انتخابات، فانتخبت عضو لجنة منطقة. كان من الممكن أن تجد عضواً عادياً وهو ينوم يعمل بارز فى مصنع فى شبرا الخيمة أو فى الجامعة، هذه نقطة مهمة. ولذلك كان البعض يتهم

قيادة التنظيم أحياناً، بأنها لا تعامل العناصر الجماهيرية بشكل حر وكانت تلك فترة تاريخية معينة. موريس توريز زعيم الحزب الشيوعى الفرنسى التاريخى قال عبارة جميلة جداً قال : "نحن فى هذه المرحلة لسنا فى حاجة إلى قادة نظريين ومفكرين، بقدر ما نحن فى حاجة إلى قادة يعرفهم الشعب ويحبهم "، وكن دائما تقديرى، نقطة الضعف التي لدى كفرد، أننى أحب العناصر الجماهيرية. لأن رأيى أن هؤلاء يعملون ويؤثرون فى الشارع المصرى.

خالد حمزة

ربما أفسر شيئا اخر كان موجودا فى طليعة العمال، بالنسبة للموقف من الجماهيريين المنتشرين كان لديهم خوف أو حذر من أن الجماهيريين يمكن أن تعلى ذاتهم ويتمردوا ويلووا ذراع التنظيم، وخاصة كان هناك نموذج أو اثنين. أذكر مثلاً أيام العمل الجماهيرى كنت منتشراً جداً، وخليتى ترشحنى للمسئولية، فيتم تصعيدى شهرين، ثم أنزل ستة وهكذا، لأنهم يخافون. وقد أنزلت وأنا فى أوج جماهيريتى، ولى نشاط فى بولاق والظاهر، ليروا مدى التزامى بقرارات القيادة. لكن كنت رجلاً طيباً .

التحقت بالجامعة عام ١٩٤٥. دخلت كلية العلوم، والتى كانت تسمى الكلية الحمراء، وبالتالى منذ دخولى الكلية كان هناك تماس شديد مع الشيوعيين. لقد جئت قادمًا من أسوان الثانوية، كان لدينا نشاط طلابى فى أسوان ومظاهرات، وكنا قد أسسنا جمعية اسمها (مجموعة الاشتراكيين) كان فيها د. ألفونس عزيز، أستاذ الاقتصاد. أتيت للقاهرة على أساس أننى سأناضل وأقتل الإنجليز، وليس لتضال خاص بالعمال أو خلافه. كانت توجد معركة وطنية. نحن اشتراكيون نعم، لكن فهمنا كان منصبًا بالأساس على المعركة الوطنية، وأننا أتينا لنقتل الإنجليز فى القاهرة.

وبالتالى بداية، كنا مملوءين حماسًا. كانت الحركة الوطنية عارمة فى ذلك الوقت وشديدة، وكلية العلوم، كما قلت كان اسمها الكلية الحمراء، بما أن وصلت للقاهرة، حتى اشتركت فى المظاهرات التى كانت تقوم فى هذا الوقت.

الحركة الطلابية كانت بشكل كبير جداً، تحت قيادة الشيوعيين والماركسيين. وأعتقد أنه كان لايسكرا دور متميز عن غيرها من التنظيمات الأخرى. كانت (ح.م) فى هذا الوقت، وسط الطلبة أيضا. لكن (ح.م) كانت أكثر عمالية، كانت إيسكرا أكثر طلابا من (ح.م) بكثير، ولها دور أكثر نشاطًا.

الذى أتذكره، أن بداية تجنيدى كانت فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى (حمتو). كان لها فى الكلية شخص واحد، أما باقى الناس فكانوا من يسكرا. كان لإيسكرا نشاط كبير تنظيميا وثقافيا كانت تصدر مجلة فى الكلية اسمها (هى)، وكان يتولاها الزملاء. الزملاء الذين كانوا موجودين أسماء كثيرة جداً. منها عبد المعبود الجبيلى وعبد الرحمن الناصر وكانو معيدين فى هذا الوقت.

كان هناك من الطلبة جمال غالى وفاطمة زكى وسعد زهران وسعدية عثمان وحورية مصطفى ورمسيس جرجس وغيرهم، وكان النفوذ كبيراً. كنا ننزل انتخابات اتحاد الكلية، فكانت الأغلبية الساحقة للماركسيين والشيوعيين، وكان هناك اتحاد آخر اسمه الاتحاد العلمى، كنا أيضًا نستطيع ببساطة شديدة جداً أن نسيطر على الاتحاد

العلمي بالانتخابات وهو غير اتحاد الطلبة. اتحاد الطلبة سنة أولى وثانية وثالثة ورابعة و... الاتحاد العلمي أقسام، ممثلين عن قسم جيولوجيا وممثلين عن قسم كيمياء وممثلين عن قسم النبات والحيوان والرياضة، وممثلوا هذه الأقسام يشكلون الاتحاد العلمي وأتذكر أن فاطمة زكي في هذا التاريخ سحقت قائد الإخوان المسلمين في الكلية، وتولت رئاسة الاتحاد العلمي كان شعار المرشح الإخواني وقتها (لا تنتخبوا امرأة)، وكان هذا الشعار هو مقتله لأنه كان شعارا استفزازيا للغاية. وخاضت فاطمة زكي معركة جيدة جداً ونجحت في رئاسة الاتحاد.

أريد أن أضرب مثلاً عن مدى نفوذ الشيوعيين في هذا الوقت. مثلاً في كلية العلوم في سنة أولى - كنا مائة وخمسين طالباً، خمسة وعشرين إخوانيًا وثلاثة شيوعيين أنا وميشيل سعد ود. فتحي خليل. كان الاخوان يحصلون على خمسة وعشرين صوتاً، ونحن الثلاثة نحصل على المائة وخمسة وعشرين صوتًا الباقية. هذا يوضح إلى أى مدى كان الشيوعيون في هذا الوقت فعلاً يقودون الحركة الطلابية بشكل كبير جداً.

لم أذهب للأماكن التي كانوا يقومون فيها بأنشطة علنية مثل «دار الأبحاث» أو غيره، إنما كان لي نشاط في الحي. كان لنا نشاط في الكلية، وهو نشاط وطني، ومعارك ندخلها، ومظاهرات وإضرابات وأشياء من هذا النوع. في الحي كنا نحن الثلاثة من شبرا - الذين ذكرت أسماءهم - فأنشأنا في شبرا - ونحن عمرنا سبعة عشر أو ثمانية عشر عاما - ناديًا أسميناه «النادي المصري السوداني» وافتتح هذا النادي إسماعيل الأزهري، الذي أصبح أول رئيس للوزراء في السودان. افتتحه، وكان مقيمًا في مصر وقتها، وكان هذا النادي نادياً رياضيا وثقافيا. وهذا يبين إلى أي مدى كان لنا تصور للعمل في الأحياء، من خلال عمل شعبي وجماهيري، وليس فقط فكر أيديولوجي أو فكر نظري، ننشيء ناديا ثقافيا عاما وفي نفس الوقت ناديا رياضيا. وضُرب هذا النادي في ١١ يوليو ١٩٤٦، في العملية التي أغلق بها إسماعيل صدقي النوادي والواجهات العلنية لشيوعيين والمجلات وغيرها، وأصبح هذا النادي، على ما أعتقد، مقراً للإخوان المسلمين،

كان مكاناً جيداً جداً، فيلا وحولها حديقة، وكنا نمرس فيه نشاطاً جيداً في شبرا، من ضمن النشاطات الأخرى التي أتذكرها أيضاً في الأحياء، وقمنا بها كطلبة. كان النشاط الخاص بالكوليرا. وهذا النشاط كان يتم تحت قيادة (رابطة الطلبة المصريين) وكان هذا أيضاً تنظيم من أيام إيسكرا وكان يرأسه جمال غالي.

أتذكر في الأحياء مثلا أنني أنا ومحمد محمود عثمان – الذي استشهد في عام ١٩٥٩ – أسسنا لجنة لمقاومة الكوليرا كجزء من نشاطنا. وهذه اللجنة ضمت حوالي سبعين شخصاً. ونحن فيها اثنان فقط من الشيوعيين. وكانت هذه اللجنة تقوم بنشاط كبير جداً، يغطي كل منطقة جزيرة بدران وشبرا والساحل وروض الفرج. كنا ندخل لمرضى، ونعمل نوعاً من العزل الطبي، ونرش البيوت بالمواد المطهرة مقاومة للمرض. وكان هذا العمل يقتضي شجاعة فائقة، لأن الناس كانت تموت، وأنت تدخل تحمل هؤلاء الناس الأموات أو تطلب إسعافا وتذهب بهم للمستشفى و... ووردت لنا تبرعات من الخارج – أدوية – واحتجزت، كانت لرابطة المصريين فاحتشينا سلم وزارة الصحة ليسمحوا لنا بصرف الأدوية التي يمنعوها عنا، لأن الرابطة أيضاً، كما قلت، كانت تمارس عملية الوقاية أو العمليات المختلفة في عزل المصابين.

كان النشاط في الكلية نشاطا وطنيًا وفئويا أيضاً. فقد خضنا معارك دفاعا عن مصالح طلاب كلية العلوم المستقبلية. أتذكر في هذا الوقت افتتح قسم الكيمياء الصناعية في كلية الهندسة وكان معنى افتتاح هذا القسم، هو التضييق على قسم الكيمياء في كلية العلوم لا تستطيع أنت المنافسة لأن دراستك أكاديمية في حين أن الكيمياء الصناعية تطبيقية، فخضنا معارك وإضرابات لنمنع هذا الموضوع. طبعاً لم ننجح وفرض هذا القسم، كان هناك نضال فئوي خاص بمصالح خريجي علوم.

إننا أيضاً عقدنا اجتماعاً كبيراً حاشداً خطبت فيه فاطمة زكي وكانت قد تخرجت من الكلية، جاءت لتحكي إلى أي مدى هم يمارسون أعمالاً لا علاقة لها بالمهنة. كانوا يدرسون في المدارس الابتدائية أو ما أشبه. وكيف ضاع كل الذي درسناه كعلماء. كنا نتصور أنفسنا عندما نتخرج كعلماء، نحصل على الشهادة، من لندن. بكالوريوس

علوم فؤاد الأول كان يصحح فى مصر أولا ثم يرسل للندن، وتحصل على البكالوريوس من لندن، بحيث إنك تعمل به فى أى مستعمرة إنجليزية فى أى مكان فى العالم، ومع ذلك تتخرج فى مصر لتعمل مدرسا ابتدائيا. أنت ند لعلماء إنجلترا، ومع ذلك لا تعطيك بلدك أية قيمة. أتت فاطمة وقالت هذا الكلام. وكم كان مؤثراً. واعتصمنا. وأغلقت الكلية، فكنا نجتمع، مثل الثورة الفرنسية، فى الحدائق التى بجوار الكلية. طبعاً كانت هناك خرابات كثيرة حولنا فى العباسية- كنا نحن فى اسطبلات قصر الزعفران، كان جزء من كلية العلوم فى اسطبلات قصر الزعفران وجزء منها فى الجامعة فى الجيزة.

خضنا أيضاً معارك دفاعاً عن الطلبة وترتب عليها مآسى، مثلاً أهان أحد الأساتذة واحدا من زملائنا الطلبة. فتصدينا للدفاع عنه، فأسقطنا الأستاذ جميعا فى سنة أولى، أسقط كل الذين تصدوا للدفاع عن كرامة الطلبة فى قسم الجيولوجيا. رسبنا دور أول ودور ثانى فى علم النبات، وأعدنا السنة كلنا بسبب علم النبات. عندما شتم الأستاذ الطالب احتججنا واجتمعنا فى المكتبة وكتبنا له عريضة احتجاج قدمها له، أربعة زملاء من ذوى الأجساد الضخمة، وكان منهم فاروق جرانة، الذى أصبح فيما بعد رئيس الاتحاد الاشتراكى فى الإسكندرية رئيس اللجنة الاقتصادية فى مجلس الشعب، ومحمد محمود إسماعيل الذى أصبح أستاذاً فى الجامعة ورئيس قسم الجيولوجيا، فاعتذر لنا، ثم أسقط كل الموقعين على العريضة فى الدور الأول والثانى. وكان يقول انظروا ماذا فعلت بدفعة ١٩٤٥. لقد جعلنا عبرة. إن هذا يعطى صورة أيضاً عن جو الجامعة. لم نكن فقط نرفض الظلم والغبن العام، كنا نرفضه ايضا فى الكلية ذاتها. كنت الوحيد فى قسمى فى مرحلتى الدراسية، الشيوعى ومع ذلك، كان الطلبة ينتخبوننى، ولم يكن أحد منهم يرشح نفسه أمامى فى الاتحاد العلمى كنت انتخب بالتزكية.

كان الجو العام للطلبة وطنياً واجتماعياً، وهناك شعور بالكرامة واعتزاز بها ودفاع عنها.

النشاطات. كما قلت ، امتدت من الكلية إلى الأحياء طبعاً أريد أن أبرز شيئاً آخر، كنا نوزع مجلتين، مجلة طلابية، هي «صوت الطالب» وكانت توزع في الجمعة. كنا نوزعها باليد، وبذا كنا نقيم علاقات مع الطلبة، نناقشهم بعد ذلك في رأيهم فيما قرأوه، ووجهة نظرهم، وهل ما نكتبه كلام صواب أو كلام خطأ، وهل يحبون الكتابة او المشاركة. فكان هذا أيضاً يساعد على عملية التربيط. وكنا نوزع مجلة «الجماهير» أيضاً وكنا نأخذها ونذهب بها إلى شبرا الخيمة لنوزعها وسط العمال.

كان نزول شبرا الخيمة مغامرة خطيرة جداً، لأنها ليست شبرا الخيمة التي ترونها الآن. كان بينها وبين الأحياء السكنية مسافة بعيدة لتدخل لشبرا الخيمة وتصل إليها. كنا نمشي هذه المسافة لشبرا حاملين مجلة الجماهير، وبدأنا نكون ركائزالمجلة في داخل هذه المناطق العمالية ، مثلاً حلاق ،بقال، أي شخص يقبل أن يأخذ توزيع المجلة تعطيه المجلة ليوزعها. وكنا نطالبهم أن يجلبوا تبرعات. والحق لم يكونوا يسرقون. كان يأتي لك بالتبرعات وثمن المجلة. وفي فترات متقدمة تم تجنيد بعض هؤلاء. كانوا نقاط ارتكاز في توزيع المجلة، ثم أصبحوا نقط ارتكاز تنظيمية فيما بعد. وهذا أيضاً كان نشاطاً طلابياً يتم في داخل المناطق العمالية.

أنا أقول هذا الكلام بشكل عام، نشاطات متميزة بين الطلبة والأحياء وبين الطلبة والعمال. إن نضالك ليس قاصرا على الجامعة فقط لأنك طالب، وكانت تمارس نشاطات أخرى سواء في الحي أو في المناطق العمالية.

إنني لا أريد الدخول تفصيلاً في معارك ١٩٤٦ ، لأنه حدث نقاش طويل حولها. سأحاول فقط أن أذكر أشياء لم تذكر، وتبدو جديدة. لقد شاركنا بالطبع مشاركة فعالة في معارك ١٩٤٦، والتي بدأت في ٩ فبراير «أحداث كوبري عباس، في اليوم التالي، حيث إنني لم أكن في مظاهرات كوبري عباس، لأني كما قلت كنا في كلية العلوم وهي أحيانًا في العباسية، وأحياناً أخرى في الجيزة. في اليوم التالي: عندما كنا في الجيزة، كانت رأس عبد المنعم الغزالي مربوطة، وعدد كبير من الطلبة مصابين نتيجة لمعركة كوبري عباس، واعتداء الشرطة على الطلبة. كان المنظر صعباً للغاية وقد ولد هذا

استنفاراً شديداً جداً، واستمرت المظاهرات واستمرت المعارك. أتذكر أننا أقمنا حشوداً من الطلبة فى جامعة فؤاد الأول حيث نخرج إلى وسط الشارع أمام الجامعة، ونوقف السيارات المحملة بالزلط والطوب تحديداً. وكنا ندخلها الجامعة ونفرغها من حمولتها، لنستخدمه فى الصراع مع العساكر الذين كانوا يحاصروننا. أحد الطلاب بعد أن ركب بجوار السائق ليدخل السيارة للجامعة لإفراغ حمولتها، قام السائق بدلاً من أن يدخل الجامعة، بدفعه، ووقع تحت السيارة، وجرى بالسيارة كان اسم الطالب، على ما أتذكر محمد على، وقد استشهد فى الحال وأخذ فى سيارة وتم تهريبه للقصر العينى، واحتفظ به فى داخل القصر العينى مع الزملاء الأطباء الذين كانوا هناك. دخل فى مكان ما فى وسط المرضى، نائماً على سرير كأنه مريض. يصدر قرار من اللجنة الوطنية للطلبة والعمال بخروج مظاهرة فى جنازته. كان المفروض بعد انتهائنا من الجامعة أن نتوجه للقصر العينى، ونظل مع الجثة، حتى نخرج فى اليوم التالى بمظاهرة كبيرة مع جثة الشهيد محمد علي، كان تقريباً طالباً في كلية التجارة.

ذهبنا القصر العينى. طبعاً كان هنالك حصار رهيب جداً، وكان سليم زكى حكمدار القاهرة، والإنجليز محاصرين القصر العينى بشدة، خصوصاً أنه عرف أن الطالب داخل القصر العينى. وبدأوا هم بالميكروفونات من الخرج يطالبوننا بأن نسلم الجثة، ونحن أيضاً أعلنا فى الميكروفونات أننا لن نسلم الجثة. وبدأنا نعد فرق تخرج من القصر العينى ومن كلية الطب وتبدأ تكسر فى الشارع. قلبنا الترام وأشعلنا فيه النار. كان هناك عاموود يعمل بالغاز كسرناه وأشعلنا فيه ناراً، فكانت الأرض مشتعلة بالنار. بدأنا نصعد فوق سطح القصر العينى حيث توجد كمية هائلة من الصناديق القديمة والقطن القديم والورق وأخذنا نشعل النار ونرمى على العساكر الموجودين فى الشارع.

المهم دارت معركة عنيفة بيننا وبين الشرطة. هم يريدون الدخول لأخذ الجثة ونحن نقاتل كي لا يأخذونها. وبدأ الأهالى يدخلون معنا من الخارج لضرب الشرطة. الأحياء الشعبية التى بجوارنا، المنيرة و أماكن شعبية، زين العابدين وأبو الريش، بدأ توافد الناس. وكانت الشرطة محصورة بين الناس الشعبيين وبيننا نحن داخل الكية. دخل

بعد ذلك ضابط مصرى، عالى الرتبة إلى الكلية للتفاوض معنا. فتم القبض عليه، بقرار من الجنة التى تقود المعركة، وأعلنا فى الميكروفون أنه قد أصبح أسيراً ورهينة عندنا.

قلنا لهم أنتم الآن لا تتفاوضون على الجثة لتأخذوها، أنتم تتفاوضون على الرهينة، على قائدكم. استمرت المعركة حتى المساء، ووقتها كنت أسكن فى شبرا، وكان أخى يسكن معى، وهو لا يعرف أكثر من أننى ذهبت الكلية فى الصباح ولم أرجع بعد. طبعا كانت هناك أخبار عن القتلى والجرحى والمصابين و ... فكرت أن أخرج من القصر العينى لأذهب للبيت. أتذكر وقتها، أن الذى أنقذنى كان شيئًا عجيبًا للغاية. وجدت أناس يبكون. سألنا من هؤلاء؟ فقالوا أسرة الشهيد. كانوا يبكون أيضا لأننا لا نريد أن نعطيهم الجثة، وهم يريدون الحصول على جثة ابنهم. ولا أحد يعرف طريقها. دخلت وسطهم وخرجوا من القصر العينى فخرجت معهم. بعد أن ابتعدوا عن القصر العينى، وجدت المناطق كلها محاصرة حصارا شديداً جداً، فأسرعت مبتعداً. كانت هناك ظروف تحتم علىّ الانصراف، أخى كان سيبحث عنىّ فى الشوارع والأقسام والمستشفيات دون جدوى.

دخلت الشرطة للقصر العينى فى الفجر وأخذوا الجثة، وبذا لم تتم المظاهرة التى كانت مقررة.

أتذكر أنه كان من المفروض افتتاح المدينة الجامعية. كان الملك هو الذى سيفتتح المدينة الجامعية. وكان يوم الافتتاح هو يوم اثنين. فأشعلنا النار فى سور حديقة الأورمان، واشتعلت الأوراق والفروع الجافة فى حريق هائل، وكذلك أشعلنا النار فى النخيل الموجود فى جزيرة شارع الجامعة. فتحنا خراطيم المياة فأغرقت الشوارع، وكسرنا التاج الملكى، وكل الزينات المعدة للملك. عندما جاء الملك وجد الدنيا «مبهدلة» تماماً وليس هناك طلبة فى انتظاره. كان المفروض أن ينتظره الطلبة فى الافتتاح. كان هذا فى ١١ فبراير ١٩٤٦.

الملك سأل أين الطلبة؟ كان مكرم عبيد فى الوزارة، بعد أن ترك الوفد وأصبح وزيراً فى حكومات الأقلية. قال له يا مولاى إنهم بين قتيل وجريح وغريق ومصاب. بعدها

سقطت الوزارة، وزارة النقراشى، وأتت وزارة صدقى، إسماعيل صدقى. المهم عندما وصل الملك وجد الشوارع غارقة بالمياه والأشجار محروقة والزينات مكسورة والتاج على بوابة الجمعة مكسور ولا شئ من الزينات المعدة.

كانت هذه مسألة هامة للغاية وكنا نشعر أننا نحن الذين أسقطنا الوزارة. كنا نشعر أن نشاطنا وجهدنا أسقط الوزارة.

بعد ذلك بدأ التحضير لـ ٢١ فبراير. أتذكر ٢١ فبراير جيداً، لأننى كنت أحد المكلفين بالهتاف فيه. كنت مدرباً على الخطابة منذ السنة الأولى الثانوى، حيث كانت هنالك جمعية للخطابة في المدرسة الثانوية. وكان أساتذة اللغة العربية يدربوننا على الخطابة. فكنت أقود الهتاف فى المظاهرات. فتم ختيارى ضمن الذين سيهتفون فى يوم ٢١ فبراير. كان جزء من عظمة هذا اليوم، أنه لم يكن لأحد أن يرد على الهتاف إلا لمن هم مكلفين به. نحن المكلفون بالهتاف كنا نهتف فإن هتف أحد آخر، لا أحد يرد وراءه. الزملاء والناس كانت تعرف من الذى ترد على هتافه. وكانت الهتافات محددة. كان يوما مذهلاً. لأول مرة فى حياتى أرى هذا الشكل من الحشود المخيفة. فى ٢١ فبراير ١٩٤٦ كانت الناس تزحف زحفاً على القاهرة، سواء من حلوان أو من شبرا أو من الجامعة.

الجموع كبيرة والهتافات مدوية. كان هذا اليوم احتفالا بالشهداء الذين استشهدوا فى ٩ و١٠ و ١١ فبراير وطوال هذه الفترة. كانت هناك معارك مستمرة وناس تصاب وناس تموت.

أتذكر عندما وصلنا إلى ميدان التحرير بالهتافات، لم يتم تخريب محل واحد، ولم يتم سرقة شئ: كان الانضباط والالتزام شديدين للغاية. وأنا أقول بفخر شديد جداً، أن هذا اليوم قد تم تحت قيادة الشيوعيين كلهم. كانوا منسقين فى هذا اليوم جميعاً مع الطليعة الوفدية. فعلاً فى هذا اليوم تم استعراض للقوة لا حد له. التنظيمات كلها والطليعة الوفدية كان لهم الدور الأساسى فى هذا اليوم، وكانت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال هى التى جمعت كل هؤلاء الناس معا.

فى ميدان الإسماعيلية (التحرير) بدأنا نهتف ونتظاهر وسط الميدان. فوجئنا بعدد من عربيات اللورى قادمة من شارع القصر العينى، داست عدداً من الناس، وانطلقت ناحية (المعسكر) القشلاق الإنجليزى (الجامعة العربية والهيلتون و لمبنى المركزى للاتحاد الاشتراكى الآن). طبعًا الناس جرت وراء السيارات ونجحت فى وقفها قبل أن تدخل المعسكر، وبدأنا نشد السائقين الموجودين داخل العربات؛ ونضربهم. داخل القشلاق الإنجليزى كان يسير العساكر الإنجليز ومعهم الرشاشات، ونحن نرى ذلك لكننا لا نبالى بشئ؛ دخلنا المعركة واحتدمت الأمور. كان دخول أية قوات إلى القاهرة ممنوع فى هذا اليوم، ومع ذلك حدث هذا الاقتحام للمظاهرة وناس قتلت أمامنا. أخذنا فى شد الإنجليز من اللوريات وبدأ الإنجليز إطلاق النار علينا من القشلاق الإنجليزى. وتحول ميدان التحرير إلى معركة حقيقية. كان أمامنا مكان المجمع الآن، حائط خشبى كبير، لا نعرف ما الذى وراءه ، أشعلنا فيه النار، فتكشف وراءه معسكرا للطيران الإنجليزى، سقطت الأخشاب ودوت الرشاشات. أصبح إطلاق النار علينا يجئ من كل أنحاء الميدان، من القشلاق، من معسكر الطيران، من العمارات حيث الأجانب يطلقون الرصاص علينا أيضًا. كنا فى بؤرة والنار تأتينا من كل هذه الأماكن. كيف نجوت فى هذا اليوم؟ لا أدرى! كان بجوارى شخص سودانى قطعت يده برصاصة. نحن مزقنا ملابسنا وغمسناها فى بنزين السيارات. كنا نهاجم القشلاق الانجليزى والمعسكرات الإنجليزية بأيدينا.

فى هذا الوقت حضر إسماعيل صدقى، وعربة لورى تحمل عساكر إلى وسط الميدان، وطلب منا أن نتصرف، وسيقوم العساكر المصريون الذين معه بالقتال نيابة عنا. فقمنا نحن ببساطة شديدة، بالانقضاض على العساكر المصريين وأخذنا منهم البنادق وإذا بها بنادق فارغة وفشنك

استمر كل ذلك حتى الساعة الرابعة عصراً، وكانت تتم تغذية المعركة بجماهير الأحياء الشعبية، من عابدين والسيدة والمنيرة حين بدأ الناس فى الانفضاض كان هذا اليوم يوماً رهيباً وهامًا جداً ، وجاء انعكاسه فى الإسكندرية فى ٤ مارس، وكان يوما

مشهودا أيضاً. الذى أحب أن أسجله للشيوعيين والماركسيين والقوى الوطنية، أنه تم بعد هذا اليوم جلاء القوات الإنجليزية والأجنبية عن المدن المصرية وذهابها إلى القناة. لقد كانت معركة حقيقية. أعطتنا شعوراً بالقوة، وبالقدرة على فعل شئ حقيقى. كان هذا اليوم يوم فخار شديد للشيوعيين والوطنيين، لأنهم استطاعوا أن يقوموا عملا عظيماً بعيداً عن التخريب والتدمير، ونجحوا فى مواجهة الاستعمار وجها لوجه داخل البلد.

دخلنا معركة قوية جداً مع الإخوان، كان ذلك فى ١٩ يناير ١٩٤٨ على ما أتذكر. كان يوم ذكرى اتفاقية السودان. كان يوماً حافلاً. كانت بيننا وبين الإخوان خلال ٤٧، ٤٨ معارك لا تنتهى. كانوا قد شكلوا من ناحية أخرى هم والسعديين والدستوريين وحزب مصر الفتاة، والحزب الوطنى شكلوا معا ما سمى بالجبهة القومية، وإسماعيل صدقى هو الذى أشرف على تشكيل هذه الجبهة عام ١٩٤٦. وكانوا قد اعتادوا على الاعتداء علينا . كان لديهم باستمرار مخزون من أيدى المكانس والكرابيج والسلاسل، ونحن كان لنا أيضاً مواقف استفزازية. لن أنسى موقفا سأسجله هنا، لأنه كان موقفا كوميديا للغاية. كان لنا زميل في كلية الحقوق وتزعم حوالى خمسة عشر أو عشرين شخصاً، وأخذ يهتف أين أنتم يا نساء البنا؟ أين أنتم يا حريم الإخوان؟ هو يهتف ونحن نرد وراءه. وبعد خمس دقائق ظهر حريم البنا ونساء الإخوان وجروا وراءنا فجرينا، وقد دخلت أنا بوفيه كلية الآداب وسمعت الفتيات ومن يتفرجن ويقلن، لقد خرجت الحريم والنساء، فأين الرجال؟، لم تكن تلك الفتيات من الإخوان، إطلاقاً، كن طالبات عاديات. وتعلمت فعلاً درساً فى عدم الاستجابة لأى هتاف استفزازى حتى لو كان قائله لينين. بدأنا نعد لعملية ضرب الإخوان. نُظمت العملية تنظيماً جيداً . تم تخزين عصى وكرابيج وبوكس وبلاك چاك، مجموعة رصاص مغطاة بجلد، تضرب أى شخص ضربة واحدة على رأسه فيقع، جهزنا ذلك تماما، وأخذنا فى اعتبارنا أنه يوم ١٩ يناير هذا، لابد أن يتم فيه الرد على الإخوان المسلمين.

أغلقت الكبارى المؤدية إلى الجامعة، كنا نركب الترام رقم ١٥ من الإسعاف ويمر من بولاق إلى كوبرى أبو العلا والزمالك ثم يكمل بعد ذلك إلى الجيزة واعترضت

الطريق فرق من البوليس. وكان المرور بالكارنيه أو البطاقة. وأى طالب جامعى كانوا يمنعونه من الاستمرار إلى الجامعة. فماذا نفعل؟ لابد أن نذهب إلى الجامعة. ركبنا مواصلات للقصر العيني. استأجرنا مركبًا وعبرنا النيل ودخلنا حديقة الحيوان، ثم قفزنا من فوق السور إلى كلية الهندسة، ومن كلية الهندسة، وكان الحرم الجامعى لا تدخله الشرطة فى عز الزمن الملكى، عبرنا أسوار الجامعة، كانت قد بدأت المظاهرات داخل الجامعة. أول شئ فعله الزملاء، وكان يومًا منظما كما قلت، هو إغلاق أبواب الجامعة حتى لا يفلت أحد من الاخوان. قفزت من على السور، وجرحت يدى. بدأت المظاهرات، فتوجهنا لجموعتنا وكان زملاؤنا يقفون أمام قاعة الاحتفالات. كنا نحن والوفد والكتلة. وعلى ما أعتقد بعض العناصر من الحزب الوطنى وبعض العناصر من مصر الفتاة.

فى هذا اليوم تجمعوا هم عند كلية الحقوق. وأتوا إلينا ليضربونا كالمعتاد، غير منتبهين أننا مسلحين ومجهزين. عندما اقتربوا منا كانوا يهتفون عاش الملك، يحيا الملك. وكان هتافنا رداً عليهم «لا مليك إلا الله». والهتافات التقليدية لنا (عاش كفاح الشعب المصرى) (عاش كفاح الوطنيين) وأفسحنا لهم مكانا، فدخلوا وسطنا، ثم حدث انقضاض عليهم وضربوا علقة عظيمة الشأن. ضربوا ضربًا مبرحًا. فبدأوا يجرون ويدخلون المدرجات ليختبئوا فيها، فدخلنا وراءهم ولم نتركهم، بعد هذه العلقة نام الإخوان فى الجامعة سنة أو اثنين لم يظهر لهم أثر. وهذا أقنعنا أن القوة لا تقاوم إلا بالقوة، ليس قوتنا منفردين ولكن قوة كل طلبة الجامعة، الذين كانوا قد سئموا أسلوب الاخوان وضاقوا بوسائل الإرهابيين. لقد واجهنا خندق الملك والرجعية بخندق كل الطلبة كل الوطنيين. بعد ذلك بدأ ضرب الحرس الجامعى وتكسير غرفهم، لحمايتهم للأخوان، ثم تكسير صور الملك فى فناء الجامعة وإشعال النيران فيها والتبول عليها.

كانت الحركة الطلابية فعلا حركة عارمة، وكانت تشد البلد كلها وراءها لم تكن مجرد عمل داخل حجرات أو داخل جدران الجامعة. كانت حقًا صدى لما يحدث وسط الناس لما يحدث وسط البيوت ووسط القوى الوطنية كلها.

لقد تعرف الشيوعيون علىّ وأنا طالب في الصف الثالث الثانوى بمدرسة الظاهر الثانوية. كانت هناك إضرابات ووفديين. ولم يكن هناك وجود للشيوعيين في مدرسة الظاهر أبداً.

هكذا كانت معلوماتي. كان الوفديون هم المسيطرون على مدرسة الظاهر، وكان هناك زعيم من المدرسة اسمه محفوظ كان يقود لإضراب، وكان الناظر يأتي ويأخذه لغرفته ويجعله ينصرف. أنا لم أكن مسيساً أبداً، كان يوم شهداء وتريد القيام بإضراب لتذهب للسينما.

الناظر طلب محفوظ وأخرجه ووجدت أن الإضراب سيفشل، فصعدت على السلم وقلت أين زعيمكم؟ لابد أن نذهب للجامعة. فحملني الوفديون وخرجنا من المدرسة وبدأ الإضراب.

كان موجوداً في مدرسة الظاهر أنور أبو العلا، أخو المرحوم محمد أبو العلا، زوج إنجي أفلاطون. كان أنور أبو العلا منظماً في طليعة العمال، فأعجبه الذى قمت به، فبدأ يكون علاقة معي. أول كتاب أحضره لي (نحن النساء المصريات) لإنجي أفلاطون: كنت أقول له ماذا يعني شهداء. بدأ يشرح لي بعض الأشياء، وبدأت بالفعل. الوفديون يتجمعون حولي، ونخوض إضراباً، ونذهب للجامعة. وبدأت تجئ لي، بعد ثلاثة أو أربعة شهور، مجلة في البريد. وبدأت أستقبل منه الأوراق. كان هذا سنة ١٩٥٠. كنت في أولى ثانوى، وقد حصلت عليها في سنتين. وفي الصف الثاني الثانوى كان عندي ملحق. لم أكن تلميذاً مجتهداً. أذكر مسئولي وقتها قال لي عبارة أعجبتني جداً قال :«العامل الشيوعي لابد أن يكون أفضل عامل في المصنع، والطالب الشيوعي لابد وأن يكون أفضل طالب في المدرسة و.... إلى آخره. بدأت منذ الصف الثالث الثانوى أفهم أنه يجب أن أكون قدوة، أى يجب أن أكون في صورة جيدة، وكان هذا توجيهاً من المسئول. في الصف الثالث الثانوى نجحت من أول دور.

نشاطي في المدرسة، كنت أقوم بالعمل السرى والعمل الجماهيرى، بينما أنور أبو العلا كان مختفياً تماماً. كنت أوزع منشورات طليعة العمال في أدراج الطلبة. هم

ينزلون للفسحة، وأنا أصعد أوزعها. وزعت منشورات بتوجيه أيضاً من المنظمة في حجرات المدرسين وسط الدفاتر والكراسات وهم غير موجودين، وفي إحدى المرات أمسك بي مدرس اللغة العربية. أمسك بالمنشور وقرأه، وقال لي: «لا تفعل ذلك مرة أخرى.. عندما تأتي لك أشياء كهذه، هاتها لي» طبعا لم أكن ناضجاً تماماً، فقدرت أنه يريد الإيقاع بي. وزعت المنشورات مرة ثالثة في غرفة المدرسين، الوفديون كانوا يلتفون حولي وجاءت حكومة الوفد، فأصبحت أنا زعيم المدرسة.

نخوض إضراباً ونذهب لمدرسة مصر في الظاهر، ثم مدرسة خليل أغا والمدارس التجارية، ونجمع كل هؤلاء ونذهب للجامعة. لا نذهب في شكل مظاهرة، إنما نتفق ونتجمع ونذهب للجامعة.

أذكر مرة خضنا إضرابا، وبعد كذا إضراب أتى البوليس ليقبض عليّ داخل المدرسة، فدخلوا للناظر حمودة، الذي كان ينادي على محفوظ الزعيم ويخرجه من المدرسة. فقالوا له مطلوب القبض علي خالد حمزة، قال لهم تقبضوا عليه بعد أن يخرج من المدرسة، لا أحد يدخل الفصل ويقبض عليه. وأرسل مدرس الألعاب الرياضية لي ليأخذني من يدي ويجعلني أقفز من فوق السور إلى خارج المدرسة.

حدث نفس الموقف من ناظر المدرسة في السعيدية، لأني بعد ذلك انتقلت للسعيدية. كان فيها تقريباً كل التنظيمات، حدتو، نحشم، الراية، النجم الأحمر، طبعاً لا نعرف بعضنا، أنا قادم محمل بخبرة خوض الإضرابات من الظاهر، فبدأت أظهر، فبدأوا يتجمعوا حولي وكانت هناك درجة كبيرة جداً من التعاون بيننا داخل المدرسة. كنت أعطيهم «المقاومة» مجلة تنظيم طليعة العمال، رغم كانوا يعطونني مجلاتهم ونتناقش.

وكنا نتفق أننا غدا سننظم إضراباً، فلان يعمل كذا وفلان يعمل كذا. عندما وصلنا توجيه من المنظمة بتشكيل لجان وطنية في المدارس أيضاً أسسناها بالتعاون مع بعض بدون صراع وبدون منافسة. كان ذلك سنة ١٩٥٣.

أذكر أيضاً تجربة من تجارب التعامل مع الإخوان المسلمين. الإخوان المسلمين كانت شعبتهم في السعيدية أكبر شعبة على مستوى القطر. كان يوم الاثنين والخميس الحصص قليلة.

بعد كل حصة يتم استعراض وطوابير وتدريبات، حوالى ستين أو ثمانين شخصاً، ونحن الشيوعيين المنظمين داخل المدرسة حوالى ثمانية أو تسعة. عندما بدأنا ننظم إضرابات ، كان يأتى الفيومى، أمير الشعبة، كان بنيانه قوياً جداً ، وكان يعتدى علينا، وكان فى ذهننا أننا لسنا أهل عنف، نحن أهل فكر، فلا نقابل العنف بالعنف، إلى أن أفسدوا لنا إضرابا، ثم فعلوها مرة أخرى، فى المرة الثالثة الطلبة كانوا يحملوننى وأهتف، شدنى الفيومى وأنزلنى. كنت ألعب مصارعة وكان بنيانى قوياً، فدخلت معه معركة كبيرة والطلبة انضموا لنا، ويومها ضربت كل شعبة الإخوان المسلمين، ضربوا علقة قوية، كان ناظر المدرسة اسمه (بنونة) فى بداية المعركة كان يقف ممسكاً بصحيفة، ضربنى على رأسى، قال لى : ستقف ضد هؤلاء، هؤلاء مجرمون، سيأكلونك، سيقتلونك. لكن لم أسمع كلامه، هو كمان يطلب منى أن أخرج خارج المعركة. لكننى استمريت فى المعركة وكسبناهم فى هذا اليوم . وحدث اتفاق بيننا وبينهم أنه عندما ننظم نحن إضراباً لا يتصدرون لنا، وكذلك عندما ينظموا هم إضراباً لا نتصدر لهم، واستمر هذا الاتفاق.

صدر لى توجيه من المنظمة أن أنضم لفريق الخطابة أو المناظرات. أن أخوض سلسلة مناظرات . وكانت أول مناظرة حول «حقوق المرأة». وأذكر أنى استعنت فى تحضير مناظرتى بعباس عبد المجيد. كان عضواً فى تنظيم النجم الأحمر، وكان ابن منطقتى. وجلسنا معا ونظمنا مناظرة جيدة جداً ، والإخوان المسلمين نظموا مناظرة ضد تشغيل المرأة . أنا قمت، وكانت عندى ملكة الخطابة وملكة السيطرة، تكلمت وكيل مدرسة السعيدية عقب على المناظرة وقال، أنتم تتكلمون هل تعمل المرأة أم لا؟ هى تعمل، من منكم سافر فى الطريق الزراعى ورأى المرأة تحمل القصعة وتصعد السقالة؟ تكلموا فى شئ جديد. وقامت معركة هو قال ذلك والإخوان بدأوا الضرب فينا ونحن ضربنا فيهم وقطع الاتفاق الذى كان بيننا ألا نضربهم وألا يضربوننا.

قبل أن أنتقل للسعيدية، كانت منطقة الظاهر، تقريباً، منطقتى، ليس هناك إضراب إلا وأخرجت مدرستى. وكان هناك فى هذه المنطقة المرحوم شفيق والمرحوم سعدة

وتوفيق أخو شفيق إسماعيل وكان منتظماً فى الراية. أحضر لى عدد من الراية، وكان معنا عدد من الشيوعيين، كنت قد استقلت للسعيدية، أحد الزملاء من حدتو قال هذه المجلة تطبع داخل السفارة الأمريكية (كانت طباعة أنيقة وفاخرة). ونحن كانت مجلة «المقاومة» بالكاد تقرأ. أنا استفزيت، وقلت الكلام لا يقال هكذا. نحن نقرأ المجلة ونرى الذى بها، والجيد نقول عنه جيد والسئ نقول عنه سيئ، إنما تنظيم بأكمله نقول أن مجلته تطبع داخل السفارة الأمريكية، هذا كلام غير مقبول، وهذا جعل توفيق بعد ذلك يتعاون معى ويقدم لنا خدمات فى الحى.

فى هذا الوقت كنت أقوم بنشاط جماهيرى وسط الحركة الطلابية، وفى نفس الوقت كنت أقوم بنشاط سرى فى حى بولاق أبو العلا، وبمبادرة منى اقترحت عمل آلة طباعة صغيرة «البالوظة أو عزيزة». وأذكر وصلنى نقد، لأنى قمت بهذه الحكاية بمبادرة منى، فقالوا لا: أنت تقوم بنشاط جماهيرى وتعمل مطبعة؟ أنت لا دخل لك بهذه المسائل نهائياً، عندما تريد أن تطبع شيئاً، أحضره لنا ونحن نطبعه لك.

قصة المرحوم أنور أبو العلا الذى حضر إلى بعدها بسنة أو خمسة أو ستة شهور، أبلغنى أنه سيترك التنظيم. سألته لماذا؟ ألن تمارس أى نشاط مرة أخرى؟ قال لى: لا سوف أذهب لتنظيم آخر. أول مرة أعرف بعد خمسة أو ستة شهور أن هناك تنظيم آخر. مسئول أنور أبو العلا عضو منظمة طليعة العمال، قال له: أنت جندت خالك على أفكار طليعة العمال، فلا تأخذه معك، فقال له: لا. ووصلت إلى أنهما الاثنين يجلسان أمامى وأنا اختار. كانت حجة أنور أبو العلا إن المقاومة طباعتها رديئة وليست منتظمة فى المواعيد. مسئولى الذى اعتز به كان ألبير الضبع أخو عادل الضبع. الذى كان أول مسئول لى بعد أنور أبو العلا، قال له: هل هناك خلاف فى المقالات؟ قال: لا. هل هناك خلاف فى التوجه؟ قال له: لا. أنا بإدراكى قلت هذا تنظيم سرى وأكيد الطباعة ستكون سيئة. ظروف العمل السرى لن تصدر شيئاً أفضل من هذا.

عرفت بعد ذلك أن أنور أبو العلا وإنجى أفلاطون وزوجها محمد أبو العلا - كان وكيل نيابة - انضموا للراية، واستمرت علاقة التعاون بينى وبين محمد أبو العلا داخل

مدرسة الظاهر واستمرت علاقتي به طيبة جداً، وكنت عندما أقابله بعدها بسنوات، أشعر نحوه بحب وامتنان أنه أوصلني للشيوعيين.

ودي في هبة مارس ١٩٥٤، كنت قد سيطرت على مدرسة السعيدية وكل التنظيمات الشيوعية متعاونة ودرجة التعاون كاملة، وكنت أخرج بطلاب السعيدية ونذهب للجامعة.

في يوم وصلني تكليف أن هناك مؤتمر مهما جداً في الجامعة ، ولابد أن أخرج بطلاب المدرسة.

وفعلا ذهبت بطلاب المدرسة، وفي هذا اليوم كان هناك مؤتمر يضم الإخوان والوفديين والشيوعيين ويتعاونون فيه. وكان متفقاً أن كل شخص يقول كلمة، الشيوعيين، الإخوان والوفديين، وكان مفروض أن يلقي كلمة الشيوعيين عادل فهمي، كل الشيوعيين داخل الجامعة إتفقت إن عادل فهمي هو الذي سيلقي الكلمة. في هذا اليوم لم يستطع عادل فهمي دخول الجامعة، لأنه كان مطلوب القبض عليه، ولو دخل سيتم القبض عليه. كان مسئولي في هذا الوقت محمود عبد الخالق، حالياً محامي. أبلغني أنني الذي سوف ألقي الكلمة. أنا كنت أخطب في المدرسة، فهل أخطب في الجمعة؟ وأنا طالب ثانوي، قال لي تكلم وأنت تعرف ماذا ستقول. كان وقتها الشئ الأساسي الذي يطالب به الشيوعيون هو عودة الضباط للثكنات، الجمعية التأسيسية، حرية التعبير، حق الأحزاب، أي مدنية الحكم. تقدم مندوب الإخوان أولاً، وقال كلمته، وكان يقدم بالاسم، فلان الفلاني مندوب الإخوان، فلان الفلاني مندوب الوفد، فلان الفلاني مندوب الشيوعيين. ثم تقدم خالد حمزة مندوب الشيوعيين. وتكلمت، في وسط الكلام نسيم يوسف أتى بجواري وقال لي، ستحدث مؤامرة الآن لضرب المؤتمر، قنبلة أو معركة أو ضرب بالسلاح، فنوه في كلمتك عن هذا الموضوع. التقطت منه الخيط، وقلت، ولم أكن قد أنهيت كلمتي، وكان الضابط وحيد رمضان بعربة جيب اقتحم الحرم الجامعي وفجر قنبلة صوت أو ... لا أعرف . تفرق المؤتمر، لكن عندما شعرنا أنها قنبلة صوت، تجمعنا مرة أخرى، وأردنا أن نخرج بمظاهرة، وكان الحصار شديداً جداً، ومع

ذلك استطعنا الخروج. وأنا أذكر واقعة لعساكر يضربون بالشوم. د. عبد المحسن حموده يجرى فوقع على ظهره، فالعساكر ضربوه، فقمت فوقه وأخذت الضرب على ظهرى، والطلبة أحدثوا هرج، وبتعدنا بعيداً عن مدرسة السعيدية. تجمعنا مرة أخرى وعدنا ووصلنا لكوبرى قصر النيل، بمجرد أن وصلنا لمنتصف الكوبرى، وإذا بعسكر مسلحين بالرصاص والبنادق ويضربون فى الهواء، وأنا محمولاً أهتف. فالناس الذين يحملونني خافوا على وأنزلوني، وبدأنا نرجع للوراء، وأنا أحاول أن أدفع الناس بيدى ومعى ثلاثة أو أربعة. فجأة وجدت اثنين بجوارى، رفعت نفسى وهتفت (صوبوا المدافع للقناة). هذا الشعار أوقف الطلبة وتقدمنا مرة أخرى.

الدرس المستفاد من هذه الواقعة الذى تعلمته بعد ذلك، أن نزول الشعار المناسب فى الوقت المناسب هو الحل، طالما أنت تقدم شعاراً مناسبًا، الناس ستتجمع حولك. وإن قدمت شعاراً غير مناسب لن يلتفوا حولك.

أيضًا فاتنى فى ١٩٥٢ فى ظل حكومة الوفد وفى المظاهرات التي قمنا بها فى باب الشعرية طرحنا شعار «الجمهورية» قبل ثورة ١٩٥٢ . ونزل بالتدريج. كان حافظ عفيفى معينا رئيساً الديوان الملكى ، فكان الشعار بتكليف من المنظمة (يسقط عفيفى وحافظ عفيفى). بعد مظاهرة واثنين المسئول قال نحول الشعار (تحيا الجمهورية ويسقط الملك)

هتفنا بهذا الشعار أنا وعدد من الشيوعيين فى ميدان باب الشعرية، وكان مصطفى موسى عضو الطليعة الوفدية موجوداً فى المظاهرة، وكان لديه تخوف من نزول هذا الشعار، لكن هذا الشعار وجد استجابة كبيرة جداً جداً .

أذكر أيضًا فى مظاهرة أخرى وصلت لميدان عابدين. كانت هناك محطة إذاعة إنجليزية تذيع من قبرص أو الشرق الأدنى. كان لها مندوب فى المؤتمر الذى عقد وسجلت الخطب الثلاثة وأذاعتها بأسمائهم، فحضر إلى يومها محمود عبد الخالق، مسئولى، وقال لى لا تنام فى البيت. خطبتك واسمك أذيعت اليوم، وفعلاً ابتعدت يومين، إلى أن التقيت بسامى عجيب. ولم أكن أعرفه، عرفنى به محمود عبد الخالق.

وقال لي يبحث لك عن سكن تقيم فيه، فوجد لي عشة فراخ فوق سطح أحد البيوت، وظللت هارباً حتى الامتحانات.

كنت في التوجيهية، والتنظيم أبلغني ألا أدخل الامتحان. وبالمناسبة كان سامي يعطيني سبعة قروش ونصف يوميا وأنا هارب. ومحمود عبد الخالق أعطاني النوته الخاصة به كان يأكل بالنوتة عند مطعم رجل أرمني. وكان، عندما لا تكفي النقود، وأريد أن أكل طعاماً شهياً، أذهب للمطعم، وكانت نوتة محمود موجودة في المطعم، وكان عرفني به، وقال له عندما يريد أن يأكل ، لا تمنعه.

لم أدخل الامتحان في هذا العام، وأعدت السنة، وقبل الامتحان بحوالي شهرين كنت مسئول خلية، وقبض على واحد منها، فكان هناك تخوف من أن يعترف أو يقول أي معلومات.

فصدر لي قرار بألا أدخل الامتحان، للعام الثاني.

أتذكر في مدرسة السعيدية كنا نكتب منشورات بالكربون وكان يتعاون معي فيها زملاء من تنظيمات أخرى. كان هناك المحمدي (تقريباً طليعة الشيوعيين أو وحدة الشيوعيين) وطلبة (حدتو). كنا نكتب هذه المنشورات ونوزعها باسم اللجنة المتحدة.

أتذكر أيضاً كانت هناك مطبعة في ميدان الجيزة. مطبعة صغيرة فيها رجل عجوز، كنا نكتب منشوراتنا ونرسلها له. في أول مرة أخذ منا نقوداً، وفي المرات التي بعدها لم يكن يحصل منا على نقود. وكنا نوزع هذه المنشورات في الفصول علناً.

من ضمن الأشياء، أيضاً. أن الجامعة كانت تهدد بفصل الطلبة الذين لم يسددوا المصروفات. وكان وقتها حسن صدقي طالبا في كلية الهندسة. سألته، ألم تدفع المصروفات؟ قال لا. قلت له تستطيع أن تدفع المصروفات. قال لا، المسألة ليست أني استطيع أم لا، المسألة أن التعليم لابد أن يكون مجانياً. وكان توجيه المنظمة أن حسن صدقي والقادرين أيضاً لايدفعون ويتضامنون مع الطلبة غير القادرين. وحدث مؤتمر في هذا اليوم، وكان هناك طلبة وصلت لهم بالفعل إنذارات بالفصل لعدم سداد

المصروفات، وأعتقد أنه نتيجة لهذا المؤتمر والذي خطب فيه حسن صدقي وعبد المنعم الغزالي وكان لا يزال طالبًا، سحبت خطابات الفصل. أنا فصلت نشاطي في الحي ولجنة أنصار السلام، إنما هذا يتعلق بنشاطي كطالب.

أنا ظللت عامين لا أحصل على التوجيهية بسبب هروبي، وبعد ذلك عملت وبعدت عن مجال الحركة الطلابية.

شهادة عدلي عزيز

بداية حياتي السياسية سنة ١٩٥٠ تقريباً .

أنا من الناس الذين يحبون الصيت، يقولونها بلغة الشيوعين، جماهيرى . أحب أن أجلس مع الناس واتفاعل معهم، وكانت المنيا، مركز حركتي ومركز نضالي كانت أغلبها تقريباً وفديين، المنيا كان فيها وفد وإخوان مسلمين فقط، كنت في الوفد . كنت أحب النحاس ونخرج في مظاهرات تهتف يحيا النحاس.

في الوقت الذي كنت أقوم فيه بنضال وطني بحت، تقابلت مع المرحوم لويس اسحاق، وكان هو صديقي، علاوة على أنه ابن خالي. لويس أيضا شخصية غريبة، أحب الكلام عنه، ليس لأنه قريبي، ولكن لأنه شخصية، في تقديري شخصية شيوعية حقيقية. يقول لي من زمان وأنا في كلية الأمريكان في أسيوط، أنه يحلم بالاشتراكية بإشتراكية طوباوية، أي أن يكون كل الناس متساويين.

وكان هناك شخص اسمه زهير جرانة، كان يقول إنه حزبي اشتراكي ملكي، كما أعتقد أرسل له لويس خطابا، قال له فيه إنه مستعد للانضمام وتكوين خلية اشتراكية. فلم يرد عليه بالطبع. إلى أن وصل المرحوم لويس إلى المنيا، وتقابل مع شخص اسمه يوسف، كان ميسوراً مادياً ومثقفاً جداً، وهو تقريباً الذي وجه المرحوم لويس ناحية الاشتراكية العلمية بالثقافة، بالقراءة، بدءا بقراءة رأس المال لكارل ماركس والمادية الجدلية. وفي هذا الوقت، كانت علاقتي بلويس علاقة صداقة فقط، كل ما يقرأه، يعطيه لي لأقرأه، لويس عندما بدأ يفهم، كان قد بدأ الحصول على مجلة الفجر الجديد . كانت تأتي إلى المنيا . ومنذ هذه اللحظة بدأ المرحوم لويس يأخذ شكلاً تنظيمياً ويجند الناس.

عندما دخلت المسألة إلى التجنيد والخطر انسحب يوسف.

بدأ لويس في هذا الوقت في تجنيدي، كان يكلمني عن الفقر والناس الإقطاعيين والكلام التقليدي، ولم أكن مقتنعاً بقوة بهذه المسألة الاشتراكية أو الشيوعية. لكنني

كنت مجاملة للويس، أحاول الاقتناع بها، ثم إن لويس كان يوجهني، كان يقول لي: افعل كذا أو كذا. وكنت في هذا الوقت سكرتير لجنة الطلبة الوفديين.

في هذا الوقت بالذات كان هناك شخص اسمه السيد سعيد، كان زعيماً للإخوان المسلمين. ولا نعرف ما الذي حدث بينه وبين الإخوان المسلمين، ربما اكتشفهم، فانسحب من الإخوان المسلمين، فأتينا به للوفد، ومن داخل الوفد جندناه، مثلما تم تجنيدي، وكان شخصية قيادية. فجعلناه رئيساً لقسم الشباب.

ولم يترك الإخوان هذه الحركة. كنا في مدرسة المنيا الثانوية، وكان خارجًا من المدرسة الساعة الثالثة والنصف، تأخر بعض الشئ؛ فتجمع الإخوان المسلمون حوله وضربوه. ضربه شخص منهم (بيونية) حديد فسقط على الأرض، وسال دمه، وجاءني شخص في البيت مسرعًا وقال لي سيد ضرب وهو الآن في المستشفى. جرينا إلى سيد فوجدناه في حالة سيئة. وقد أصبح أنفه مفلطحاً.

ذهبت للقيادات الوفدية من الطلبة، عبد الله أبو طاقية وسيد (من بني مزار) أبوه ميسور الحال يملك خمسين أو ستين فدانا. كانت قيادات وفدية للطلبة. فأحضرتهم في نادي الوفد وقررنا ضرب الإخوان المسلمين. وحددنا الموعد، وكان زعيمهم اسمه عبد الله بوشناف.

في الساعة العاشرة صباحًا كان موعد ضرب الإخوان، وهم خارجين من الفصول بدأت المعركة. أمسكوا عبد الله بوشناف وضربوه ضربًا مبرحًا، ونحن في الدور الثاني، تتدحرج على السلالم حتى أول دور، وكان كل عشرة يضربون واحد.. أخذوا العلقة. نحن كنا حوالي ثمانمائة طالب، كانوا كلهم معنا إلا خمسة وعشرين من الإخوان كانوا كلهم يضربون في الاخوان المسلمين، لدرجة أن عبد الله أمسك ولداً وشرع بضربه. أمسكت يده وقلت له لا، نحن لا نريد أن نقتل أحداً. نحن نريد ضربهم فقط. المهم ضربناهم، وسيطرنا على اتحاد المدرسة بعد هذه الضربة. أصبحنا نحن اللجنة

التنفيذية للمدرسة ونحن الذى نشرف على مجلات الحائط، وفى نفس الوقت أصدرنا مجلة اسمها «الأمل»، وقد ساعدنا فيها، مدرس كان يدرس لنا فلسفة اسمه أ.فتحى الصريطى، كان يأتى لنا فى الوفد، كان إنسانًا متقدمًا جداً، وكان يساعدنا. وطبعًا نحن كطلبة وهذا أستاذ فى المدرسة، طبعاً يقابل بالتكريم والهيبة. أ. فتحى الصريطى يأتى لنا ويساعدنا ويقول لنا اعملوا كذا وكذا. يوجهنا توجيهات خفيفة، ونحن نصدر المجلة. ونطبعها وتوزع - هذا الكلام سنة ١٩٥٠. بعد الطلقة لم يعد هنالك ذكر للأخوان مدة ثلاث أو خمس سنوات.

فى عام ١٩٥١ بدأنا تنظيم مظاهرات، فى وقت من الأوقات كنا نسيطر على جميع المدارس كشيوعيين، ماعدا مدرسة الزراعة، كان يقودها إخوانى.

كان فى المنيا ثلاث تنظيمات. تنظيم لويس ولم أكن أعرفه، وتنظيم حدتو، ولم يكن للراية وجود بعد. حدتو تمتاز بشئ؛ كانوا يأتون من الجامعة. موجه فلسفة من حدتو من غرب القاهرة. كانت مجموعة من الجامعة تأتى المنيا، تعقد محاضرات وتعطى "فرشة" لحدتو. كنا نحن حوالى ستة أو سبعة منظمين، لكنهم كانوا حوالى (٢١) أو (٢٢). وفجأة اختفى هذا الانتشار. لم نعد نسمع عن حدتو وخاصة ممدوح نور. كان يمتاز بأن له أحد عشر أخًا. كان أربعة منهم فى حدتو وقد ذهب بهم إلى الراية، وكان وقتها داود عزيز فى المنيا وهو الذى أسس الراية.

طبعًا تقديرى - وقد أكون مخطئًا فى هذا، أن مجموعة المصرى التى خرجت من حدتو، كانت مجموعة يائسة، تبدأ بعدد كبير، ثم فى النهاية لا شئ، فى الوقت الذي كان فيه تنظيم المرحوم لويس يعمل بطريقة هادئة. مسيطرين على الوفد وجمعية الشبان المسيحية ومسيطرين على جميع المدارس ماعدا الزراعة.

اتفقنا، ذات مرة، أن نخرج فى مظاهرة من كل المدارس. نحن البلد الوحيدة التى هتفت بسقوط الملك فى البداية. فى الصعيد خرجنا جميعًا سنة ١٩٥١ - كل المدارس-

بهتافاتنا التي حددناها. الجلاء والشعارات الوطنية، وفي الوقت نفسه «يسقط الفتى الطائش» «يسقط عفيفي وحافظ عفيفي». عندما شعر الإخوان أن هناك هتافًا ضد الملك، انسحبوا، وسمعنا أن البوليس شرع البنادق. طبعا لم يهمنا ذلك لأننا دخلنا البلد. كنا فى شارع أحمد ماهر أو شارع الحسيني وهو الشارع الرئيسى، فلا يمكن أن يفعلوا شيئًا . الناس التي تقف أمام المحلات، تصفق لنا مرحبة بنا إلى أن تفرقنا فى نهاية الشارع.

فى يوم من الأيام، جاءنى السيد سعيد، كان مفصولاً من المدرسة، جاءني وقال لى يا عدلى، لابد من تنظيم إضراب غداً. قال لى لا تنسى. قلت له . افرض لم أنظم الإضراب. ممكن أفشل ممكن أهتف ولا أحد يسير ورائى قال لى : لابد. فأحسست بالقلق، فقلت له : لماذا يا سيد؟ قال لى بعد قليل سوف أقول لك شيئًا خاصاً يا عدلى : لقد جاءنى رفيق من مصر أمس. ومعه قنبلتين، ونحن في الأضراب سنضرب القنبلتين فى الشارع. ستنفجر القنبلتان ويتساءل الناس. ستكون هذه حركة سياسية. قلت له : الحركة السياسية موجوده بشكل جيد، وكان مسئولى المرحوم لويس فذهبت به للمرحوم لويس، ولم أكن أعرف أن لويس عضو لجنة مركزية. كانت الساعة العاشرة. أيقظته من النوم وقلت له الموضوع كذا وكذا. فقام ولبس النظارة. وقال له : يا سيد أنت مسئولك عدلى . هو الذي يعطيك التعليمات لكن أى شخص يأتى لك افعل كذا ، خطأ يا سيد. أين القنابل؟ قال له : فوق السيفون، فذهب إلى البيت عنده، أخذ القنبلتين ورموهما بجانب البحر. كان الذي أتى له بالقنبلتين هو رجائى عبد الملك.

داخل الوفد كنا ننظم كل النشاط، حفلات ترفيه وحفلات تمثيلية، تهاجم كبار الإقطاعيين و.. ونعيش على مبادئ الوفد والحرية والديمقراطية..فى يوم من الأيام، اقترح أحد كبار الوفديين، أسطفان باسيلى، قرارا بعدم المساس بالذات الملكية، وقرارا آخر بحظر النشر نحن وفديين. أصدرنا بيانًا ضد هذا الاقتراح ووزعناه فى الشارع.

وكل شخص كان يقرأ البيان كان يعطينا خمسة قروش. وكان لويس عضواً فى لجنة الشبان وقتها. فاجتمعت لجنة الوفد وقاموا بفصلنا. أولاً حاكمونا كيف تهاجمون وفديا.

قلنا يا سيادة الرئيس، كان اسمه راتب حمزة، الوفد لا يظل فى الحكم أكثر من عام أو عامين. ثم يأتى آخر ليخرب بيتنا بهذا القانون . راتب حمزة كان من رجال فؤاد سراج الدين. فلم يقتنع. لكن المجموعة التى معه اقتنعت. فحدث صدام بينهما. لكنهم اخذوا قرارا بالفصل. فكنا نذهب لجمعية الشبان المسيحية.

كنت سكرتيراً للجنة الطلبة فى الشبان المسيحية. كنا ننظم محاضرات. كانوا يعقدون ندوات يشارك فيها سلامة موسى فى القاهرة. حضرنا ندوة عن المشاكل الاقتصادية للطلبة.

كان الشبان المسيحيون فى المنيا يرسلون وفدا ليشارك فى هذه الندوات، وكان الأساتذة سلامة موسى وآخرون يحاضرون، ونحن نناقش. كنت دائما من ضمن الوفود التى تذهب ، أنا واثنين زملاء معنا من التنظيم فى جمعية الشبان المسحية.

بعد ذلك ، قالوا فؤاد سراج الدين قادم. فجمعونا، قالوا عفونا عنكم، وتعالوا غداً الساعة الثانية. فؤاد باشا قادم.

قيادة لجنة الطلبة الوفديين الثلاثة كانوا شيوعيين. أنا وسيد سعيد وجلال. أخذنا قراراً ألا نهتف لفؤاد سراج الدين. نهتف للنحاس. نحن وفديين.

كنت أول مرة أراه وبالسيجار. وبمجرد أن رأيناه هتفنا. لا زعيم إلا النحاس. يحيا النحاس زعيم الأمة. لم يتأثر كان هناك بعض الضباط يقفون فهتفوا يعيش فواد سراج الدين، ونحن وراءهم يحيا النحاس. طبعًا المباحث موجوده خلفنا، الرجل يقول للآخر، خذ أسماءهم. المهم، فشل المؤتمر، ففصلونا مرة أخرى.

كان في الوفد قيادتين، قبل راتب حمزة. كان هناك رئيس الشبان الوفديين اسمه الخطيب ناجي، كان قاضياً أزهرياً. لكنه كان وفدياً قحاً. مرة دخلت النادي ، وفي يدي آخر ساعة. فنظر لي وقال، من الذي أتى بصحف الدعارة في بيت الطهارة؟ ومرة كنا ننظم إضرابًا وقلنا يسقط ابراهيم عبد الهادي. هو خرج يهتف معنا قال لي لا تقولوا إبراهيم عبد الهادي كلب الوادي، فالكلب فيه صفات من النبل، لا توجد في أمثال إبراهيم عبد الهادي، بل قولوا يسقط إبراهيم عبد الهادي حمار الأمة، لا والله خنزير الأمة طبعاً الناس هتفت : يسقط إبراهيم عبد الهدى خنزير الأمة. يسقط إبراهيم عبد الهادي حمار الأمة وقد أقاله راتب حمزه.

كل هذا وأنا أتحرك بتعليمات من لويس. أنا شيوعي لكنني لا أعرف التنظيم الذي أنا منضم إليه كان وقتها (ط.ش) وأنا لا أعرف.

لويس قال شكلوا لجنة أنصار سلام، سنة ١٩٥١.

شكلنا لجنة أنصار السلام وانتخابات السكرتير، وقبض علينا في يوم من الأيام. قبض على لجنة أنصار السلام كلها والنيابة أفرجت عنا بعد التحقيقات بكفالة مائة جنيه. وذكر هذا الحدث براديو موسكو. ذكر أنه قبض على لجنة أنصار السلام بمدينة المنيا، إحدى مدن الوجه القبلي. وكان بها طفل عمره ثلاثة عشر سنة. وكان هذا الطفل هو أخي عادل. وقد سأله وكيل النيابة أنت عضو في لجنة أنصار السلام؟ فقال له أنا حضرت لأنتخب أخي.

أفرج عنا، ولم نستمر كثيراً. وحصلت على التوجيهية. وكان ارتباطي بالمنيا قويا جداً. التحقت بكلية التجارة في شارع القصر العيني. كان كل نشاطي في المنيا. أقيم أسبوعا في القاهرة، ثم أسافر للمنيا. فاستدعاني ضابط المباحث، قال لي : يا عدلي أريد أن أنصحك نصيحة. طالب في السياسة يساوي صفر. ممكن تصعد لفوق، لكن سوف تهبط على رأسك ولا أحد يشعر بك. وأنا أعطيتك نصيحة ومع السلامة. قلت له

شكراً جزيلاً. قال لى : تقاريرنا تقول : إنك مازلت تمارس نشاطك فى المنيا الثانوية. قلت له : أنا تركت المنيا الثانوية منذ ثلاث شهور، وأنا طالب الآن فى كلية التجارة.

فى حريق القاهرة كنت فى القاهرة. وكان لنا مسئول عنا.. وكان يعطينا بعض أعداد من المجلة ويقول وزعوها. ونحن لا نعرف شيئا بعد. قلنا له : انتظر حتى نعرف . قال: لا فكنت أذهب للمنيا وأوزعها على طلبة المنيا الذين انضموا معنا.

إلى أن حدث حريق القاهرة، وكنت موجوداً فى مجلس الشعب. كان ما يقرب من اثنين مليون .. وكنا نهتف بإلغاء المعاهدة، وتوزيع السلاح على الشعب وكان فيها عادل الضبع وادوار الضبع وكان فيها كل الشيوعيين وعادل فهمى.

الساعة الثانية ونصف وصل خبر حريق القاهرة، وقالوا للزملاء ابعدوا لأن الأحكام العرفية ستعلن. أنا سافرت وذهبت للويس، كان يعمل فى بنى مزار وقبض على مع لويس فى بنى مزار. وتم ترحلينا لبندر المنيا. ظللنا فيه خمسة أشهر فى التخشيبة. بندر المنيا هو الذى جعل منى شيوعياً، وليس كلام لويس أو قراءة لينين و... الواقع الحى الذى رأيته . كنت أقول للويس إن الفقير يمكن أن يجد طعمية بمليم أو اثنين مليم؟ لماذا تبالغ؟ عندما دخلت المعتقل، مأمور البندر كان يقول أنتم متهمين بحرق القاهرة ويضحك لأننا كان قد قبض علينا فى بنى مزار وفى المنيا، وهو وصله خبر أن يقبض على هؤلاء، لأنهم حرقوا القاهرة.

الخمسة أشهر التى قضيتها فى بندر المنيا هى التى جعلتنى شيوعياً.

كنا نجلس مجموعة طلبة. أحضرنا مراتب من بيوتنا لنجلس عليها ونأكل من بيوتنا. فدخل على شخص، يقول لى. تسمح زجاجة الكحول هذه؟ قلت له تفضل. أخذها ووجدت صرت مثل قنبلة. وخرجت مسرعًا. وجدت الرجل جرح نفسه بالزجاجة والدم ينزف، والعسكري ينظر له كأنه يرى منظراً جميلاً، وأنا مفزوع وأقول للعسكرى، هات الإسعاف بسرعة لأن الرجل سيموت. وسألت الرجل لماذا فعلت ذلك؟ قال لى : عندى ستة أولاد وأبويا وأمى، وأنا لا أجد طعاما، بيتى انخرب، وأنا فصلت من العمل. لا توجد (مومس) إلا ويكون أساس ضياعها الفقر.

وكانت النساء الداعرات يحكين لك بإخلاص شديد جداً على أساس أنهن لا يعرفن أننا سياسيين. ذات مرة قال شخص من كلية التجارة، رجال في سجن النساء، هذه حكومة تعريص. قلت له : هو كذلك.

كنت خائفاً جداً من شاويش اسمه نصر كان مرعباً. مرة ضرب مدرس مقبوض عليه في قضية دعارة، ضربه بالقلم ظل الرجل مغمى عليه نصف ساعة. قلت، ربما قال له المأمور اضربهم، فقلت، سيكون هذا الرجل لعبتي. كنت أجلس معه وأسأله. كم ساعة تعمل؟ يقول لي (١٢) ساعة. كم أجرك فيقول لي: كم مليم اسأله: وما الذي يحصل عليه المأمور الذي بجوارك؟ قال لي أربعين جنيهاً. قلت له: كم ساعة يعمل؟ قال لي: ثلاث ساعات وعنده مروحة في غرفته. قلت له: هذا عدل؟ هو يعمل ثلاث ساعات ويأخذ كذا وأنت تعمل تحافظ على النظام لأنك أنت الذي تضربنا وليس هو. كان كل يوم يعطيني علبة سجائر من الناس الذين يأتوا ويفتشهم. يدخل علينا، ويقول لنا، كم عددكم؟ نقول له ثمانية يقول: ماذا تفعلون في هذه البلد؟ انزلوا الفلاحين

وكان هو الذي يقود دورية حراسة الليل. فكنا نسمع كلامه فيقول. يا أولاد الكلب، هؤلاء الطلبة عندما يقومون بمظاهرات، يكون ذلك من أجلكم وأنتم تضربونهم لماذا؟ لدرجة مرة ذهبنا لبيتنا حوالى نصف ساعة وعدنا عن طريق الصول. هذا الصول شتم العسكري فنحن قلنا للعساكر لابد لهذا الصول أن يعتذر لأنه أهان العساكر كلها.

دخلت الحجز، وقلت : نحن نتظلم من الصول. إلى أن حضر الصول واعتذر وأصبحنا بعدها نحظى بالتقدير وسط العساكر.

كان معتقلا معنا القوادون واللصوص والنشالون من كانوا يناموز منذ الساعة الخامسة في القسم، فيدخل الواحد منهم عندنا ويقول ماذا تريدون؟ نقول مثلاً شاي يقول خذوا شاي ولا يمدوا أيديهم للنقود التي نقدمها. ومرة كانوا قادمين وهم سكارى. فأحد زملائنا اسمه محمود عبد الباقي. قال لهم : أنتم قادمون سكارى، ونحن جئنا هنا من أجلكم وأنتم أولاد كلب. في اليوم التالي دخلوا خمارة، وسكروا وخرجوا يهتفون «يسقط العدل أبو طرح» «زوروا الفدائيين في البندر» خرجت قوة من العساكر

ضربتهم ضربًا مبرحًا، واقتيدو للحجز. وقلت أنا لمحمود عبد الباقى، ألم تقوا إلا على هؤلاء؟ الآن سيقولون إننا الذين حرضناهم وسيضربوننا. قال لى: لم أكن أعرف أنهم سيفعلون ذلك. وسألهم محمود : لماذا فعلتم ذلك؟ قالوا وهل سننسى إنك جئت هنا من أجلنا. نحن خرجنا بعد خمسة أشهر.

سافرت إلى القاهرة للامتحان فى كلية التجارة أخذونى إلى سجن الأجانب فى باب الحديد. كان معى رفقتها عبد الستار الطويلة وفؤاد عبد الحليم وسيد رفاعى. الضابط الذى كان يصحبنى للامتحان، كان ينزهنى ساعة.

بمجرد أن وصلنا السجن سألونى: من أى تنظيم؟ قلت لهم : أنا أنصار سلام وطليعة وفدية. فعبد الستار الطويلة فهمنى. ظللت حتى الامتحان وخرجت. ثم وجدت نفسى سأتشرد: فذهبت إلى أسيوط، ودخلت معهد المعلمين، سنتين بعد التوجيهية، لأحصل على الدبلوم وأعمل.

أصدرت فى المعهد فى أسيوط مجلة اسمها الهداية. شعارها «أنا أخالفك فى الرأى، لكنى مستعد أن أسفك دمائى فى سبيل أن أجعلك تقول رأيك بحرية»، وتتصدرها شعلة. وكنا نوزعها على الطلبة والمدرسين. وكل مدرس يدفع خمسة جنيهات. ماعدا مدرس اللغة العربية، وقف فى طابور الصباح يقول هذه ليست هداية ولكنها الشيطان. ثم اتصلت المباحث بمدير المعهد وقالت له أوقف المجلة، فقال لا أستطيع أن أوقفها، لأن المعهد شخصية اعتبارية وهذه حرية رأى ورفض وقف المجلة. أنا أنهيت السنة الأولى ونجحت وكنت أقيم مع اثنين من الحزب الشيوعى المصرى. فى شقتى. جودت وثابت. وكان مسئولهما نشأت. كانوا يرمون المجلة مثل المنشورات. قلت لهم : نحن نعمل الآن بشكل علنى. عندما توزعو قولوا لنا، حتى نتخلص من الأشياء التى معنا. لأنهم كانوا لا يوجد لهم نشاط غير رمى «الحقيقة» و«الراية».

أنهيت المعهد.. وعند محاولة العمل، المباحث أوقفت التعيين، قالوا لا يصلح لأن يكون معلمًا نعملت فى عمل خاص.

شهادة شريف حتاتة

سنة ١٩٤٥ وصلت إلى المرحلة النهائية فى كلية الطب. كنت طالبا مجتهداً أتصدر قائمة الناجحين فى كل مراحلها، أنكب على الدراسة دون سواها. أقضى الليالى ساهرا أستذكر مناهجها، أقرأ فى ا لكتب السميكة المطبوعة باللغة الإنجليزية على ورق مصقول، وأكتب ملاحظاتى فى هوامشها بخط منمق صغير.

اللغة الإنجليزية بالنسبة لى كانت شيئاً اعتدته. كانت لغة المدرسة التى أرسلت إليها والتى اجتزت مراحلها إلى أن التحقت بكلية الطب، بل اللغة الإنجليزية كانت لغة الأم. أما اللغة العربية فلم أجدها إلا فيما بعد.

نشأت فى أسرة، وفى بيئة عزلتنى، لم أعرف حياة الطلبة المصريين، وتجاربهم. لم اختلط بثقافتهم، أو أسمع حكاياتهم، لم أضحك للنكات التى كانت تروى على المقاهى وفى بيوتهم. كنت سائرا فى طريقى إلى أن أصبح طبيبا ناجحا تتبناه طبقته، وتدفعه إلى أعلى مراتب الأستاذية، إلى زمرة الأرستقراطية فى الطب.

لكن هذه السنة بدأت أستذكر الدروس مع زميل لى اسمه عصام جلال. كان مختلفا عنى. يسكن فى شقة عتيقة واسعة الأرجاء، مبلطة الأرض فى حى شبرا مع والدته، وأخواته. يرتدى طربوشا ويتكىء على عصاه أثناء المشى. أصلع، له شارب، يمسك بسبحة بين يديه فيبدو أكبر من سنه، مختلفا عن طلاب الطب، أقرب إلى الموظفين الذين كنت ألمحهم جالسين على المقاهى وأنا عائد فى «الموترنيكروفت» أو الترام إلى البيت.

كان مصريا، يعتز بمصريته، وطنيا يعتز بوطنيته. يكره الإنجليز والقصر، ويريد أن تستقل بلاده. ربما قريب من مصر الفتاة، لكن أحيانا بعيد عنها. متقدم فى أفكاره السياسية إلى حد ما، سليل الثقافة الوطنية التى كان يعبر عنها الطهطاوى، ومحمد عبده، وطه حسين، وأمثالهم، محافظ فى حياته الخاصة ومختلف عنى، وربما كل هذا هو ما جذبنى إليه.

لا أتذكر كيف التقينا. ربما لأننا كنا نجلس نحن الاثنان في الصفوف العليا للمدرج، بعيدين عن جمهرة الطلبة. أعتقد أنه سعى إلى من باب الفضول ليعرفني. من هو هذا الطالب «الخواجة» المجد؟ وبالتدريج أصبحنا نتحدث سويا، ثم تطورت الأمور إلى أن صرت أذهب إلى بيته لنستذكر دروسنا، فعندما يقترب الامتحان كثيرا ما يسعى بعض الطلبة للاستذكار مع طالب مجد حتى يشجعهم.

أتذكر أيضا أنني في بيته تناولت لأول مرة نوعا من الحلوى اسمها «سد الحنك» ربما لاحتوائها على كثير من السكر، والسمن، لكن الأهم من ذلك أنه في سبتمبر سنة ١٩٤٥ بعد أن انتهت الحرب صعدت الموجة المطالبة بالاستقلال، وانعكست في تحركات وسط الطلبة. كان هدف هذه التحركات مزدوجا، أولا: الوصول إلى تحديد لأهداف الحركة الوطنية بعد التطورات التي شهدهاالعالم، وكيفية القيام بالحركة لإجلاء الإنجليز عن مصر وثانيا: الوصول إلى شكل من أشكال التنظيم الديمقراطي الذي يمثل الطلبة، ويوجه التحركات التي اجتاحات صفوفهم.

هكذا أخذ ممثلو التيارات السياسية المختلفة لطلبة الجامعة في عقد اجتماعات لمناقشة الوضع. اختاروا غرفة تغيير الملابس في ملاعب كلية الطب. لماذا هذا المكان بالذات لا أعرف بالضبط؟.. ربما ليكونوا بعيدين إلى حد ما عن أعين البوليس أو هكذا توهموا الأمر، أو ربما لأن كلية الطب كانت من أنشط الكليات سياسيا، وثقافيا في هذاالوقت، وحدثت فيها تحركات من قبل.

عندئذ عرض عليّ عصام جلال أن أصاحبه في حضور هذه الاجتماعات. وافقت بإحساس من يريد أن يرى ما لم يكن قد رآه من قبل. صرت أذهب إليها بانتظام فوجدت نفسي أنفتح فجاة على عالم جديد، وغريب لم أكن أعرفه. ففي هذه الاجتماعات كان يوجد طلبة يمثلون كل الاتجاهات: اليسار، والوفد، ومصر الفتاة، والأخوان المسلمين، وأحزاب الأقلية مثل السعديين، والأحرار الدستوريين، طلبة مطربشون،

وطلبة كبار السن هم محترفو أحزاب الوفد، وأحزاب الأقلية. لكن لفت نظرى الطلبة الذين كانوا يتحدثون بطريقة فيها تحليل مختلف عن الكلام الأجوف الرنان الذى كان ينطق به ممثلو الأحزاب القديمة. كما لاحظت أن مندوبى الأخوان كانت لهم لغة خاصة تبنية فيها جمود وتكرار ممل.

كان المرجودون من جميع التيارات ومن جميع الكليات ماعدا الأزهر، ودار العلوم. ويوم ٢ أكتوبر ١٩٤٥ عقد مؤتمر فى كلية الطب فى مدرج على إبراهيم فشل فشلا ذريعا لأن ممثلى حزب الأحرار الدستوريين والسعديين، والحزب الوطنى استولوا على الميكروفون، وتصارعوا حوله وحالوا دون أن يتحدث غيرهم، فتحولت المنصة إلى فوضى، وزعيق وعراك، وانفض الطلبة بعد أن يئسوا من سماع أى شيء مهم.

واظبت على حضور هذه الاجتماعات كما صرت أتجول على مقرات بعض الأحزاب مثل الحزب الوطنى الجديد، والوفد. وحضرت اجتماع الأخوان المسلمين على سطح مقرهم فى الحلمية الجديدة تحدث فيه «حسن البنا». ثم سمعت أنه أجريت انتخابات وتشكلت لجان تنفيذية فى الكليات، واللجنة التنفيذية العليا للجامعة كلها لكنى لم أشارك فيها.

انتقلت الاجتماعات إلى بدروم كلية الصيدلة وحضرتها أحيانا بعض الفتيات، كما انسحب منها مندوبو الأخوان، والأحزاب، ومصر الفتاة، ولم يبق إلا اليسار، والوفد، وبعض المستقلين. حضرت اجتماعا لعمال الترام، ومندوبى مؤتمر نقابات عمال القاهرة فى منزل أحمد الجندى، شقيق محمد يوسف الجندى. بعد قليل تطورت الأمور إلى أن قامت مظاهرة كوبرى عباس فى ٩ فبراير سنة ١٩٤٦. كانت هذه هى أول مرة أقدم على المشاركة فى مظاهرة أو إضراب فمن قبل كنت أتفادى هذا تماما. لذلك لما هجم البوليس أحسست بالخوف، وتواريت على الأطراف أتابع ما يجرى لكنى لم أتوقف عن حضور الاجتماعات، والقيام ببعض الأعمال، كما حضرت الاتصالات بالعمال التى

تمخض عنها تكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال، لأجد نفسى حاضرا فيها دون أن انتخب من الكلية التى كنت أنتمى إليها. فالتحركات الجماهيرية كثيرا ما تتميز بقدر من الفوضى المبدعة، لكنها أحيانا تؤدى إلى تبديد الجهود وضياعها.

عشية ٢١ فبراير حملت إلى جريدة الأهرام بيان اللجنة الذى دعت فيه إلى إضراب عام لينشر على صفحاتها، ويوم أن حدثت المظاهرات كنت واقفا أمام ثكنات الجيش البريطانى فى ميدان الإسماعيلية (ميدان التحرير). صوب الجنود بنادقهم ضد المتظاهرين الذين كان يتقدمهم طالب أزهرى قرب شارع البستان، وأطلقوا عليهم الرصاص فسقط شاب أمامى على الأرض، وحملته أنا و «على الشلقانى» إلى سيارة صغيرة كان يمتلكها ونقلناه إلى الإسعاف ثم عدنا.

فى اليوم التالى لمظاهرة ٢١ فبراير أذكر أنى سرت فى شوارع المدينة، وكانت خالية من الناس، موحشة، حزينة. بعد ذلك سمعت أن لجنة مناوئة للجنة الوطنية تكونت تحت اسم اللجنة القومية اشترك فيها الأخوان، وممثلون من مصر الفتاة، ومن جبهة مصر التى كونها «على ماهر» ورأسها على ما أظن. إن هذه اللجنة دعت المصريين إلى الهدوء والامتناع عن التظاهر ليتمكن «صدقى باشا» الذى حل محل «النقراشى» بعد أحداث ٩ فبراير من مفاوضة الإنجليز وانتزاع حقوقنا منهم، لكن الشعارات السائدة ظلت تعارض المفاوضات، وتنادى بالكفاح المسلح.

وفى أحد الأيام وجدت نفسى متوجها مع غيرى لمقابلة «صدقى باشا» فى وزارة الداخلية، كنا خمسة أو ستة من الشباب منهم عصام جلال الذى أخذنى معه، وحسين كاظم، ومندوب عن كلية الهندسة من حزب الوفد وآخرون لا أذكرهم، ربما لأن كل ما كان يحدث كان جديدا على، ولم أكن منتبها تماما لما يدور، ولا متيقظ الحواس كما أصبحت فيما بعد.

أثناء الاجتماع حضر دسوقي أباظة باشا مرتديا طربوشه على جانب، وفيونكة بنفسجية اللون وفي يده منشة بيضاء مصنوعة من ذيل الحصان، كما حضر لطفي السيد وزير المعارف لكنه لم يتدخل في النقاش. حاول صدقي أن يثنينا عما كنا فيه قائلا إنه يحتاج إلى الهدوء حتى يتفرغ لمفاوضة الإنجليز حتى لا يضعف موقفه أمامهم، ثم أضاف أنه يريد أن يختتم حياته بنيل الاستقلال لمصر. لم نقتنع، ورد عليه عصام جلال بأن قوة الشعب وتحركاته هي التي يمكن أن ترغم الإنجليز على الجلاء وليس الكلام. فبدا عليه الضيق وتصلبت ملامحه. اقترح علينا دسوقي أباظة أن نعود إلى كلياتنا، وبلقى أبياتا من الشعر فلم يلتفت إليه أحد، وكأنه غير موجود. وقبل أن نخرج دخل علينا وكيل الداخلية حسن رفعت باشا وظل يتفحصنا بعينيه من خلف نظارته السوداء.

هذه الأحداث هي التي قادتني إلى عالم السياسة، ثم بعدها إلى اليسار. كانت نقطة انعطاف في حياتي لم أعد بعدها كما كنت، فتحت أمامي مسارا جديدا قادني إلى كل ما حدث بعد أن تخرجت وأصبحت طبيب امتياز في القصر العيني. صرت أوزع جريدة «الجماهير» وأجوب الأحياء الشعبية للالتقاء بالمرضين في بيوتهم، وتنظيمهم.

في ذلك الوقت كنت في إسكرا، لكن عندما تمت الوحدة أصبحت لصيقا بتيار الحركة المصرية للتحرر الوطني لأنني أحسست أن أعضاءه أقرب إلى الشعب الذي كنا نتحدث عنه. ذلك أنني لم أرث من والدتي الإنجليزية فقط لغتها الإنجليزية، ولكن أيضا نوعا من الإخلاص والجدية فظللت ألقى بكل كياني سواء فيما أفعله في المهنة، أو النضال، أو الحب، أو الصداقة، أو الكتابة التي بدأتها في العقد الخامس من حياتي.

أخيرا أتساءل. هل كنت بالفعل عضوا في اللجنة الوطنية للطلبة والعمال رغم أن أحداً لم ينتخبني؟ نقد رأيت الكثيرين الذين ادعوا هذه العضوية فيما بعد رغم أنهم لم يقتربوا من أعتابها أو يشاركوا في نشاطها. لكن هكذا يكتب التاريخ في مجتمع مازال يحكمه الظلم والزيف.

كنت طالبا فى كلية الحقوق جامعة فؤاد (القاهرة حاليا) (٤٤ ـ ٤٧). وبدأت بالتردد على لجنة نشر الثقافة الحديثة، وهناك تعرفت بعدد من المثقفين الماركسيين مثل سعيد خيال ومصطفى كامل منيب وأحمد رشدى صالح ونعمان عاشور وغيرهم. وترددت أيضا على مجلة الفجر الجديد التى تعاونت فيها مع أحمد رشدى صالح. وكنت قبل ترددى على لجنة نشر الثقافة الحديثة أثنائه قد تأثرت بالفكر الماركسى وتأثرت بانتصارات السوفييت فى ستالينجراد، وقمت بترجمة بعض الكتب الماركسية التى كنت أشتريها من مكتبة الميدان. وترجمت كتاب «ما هى الماركسية» للكاتب الشيوعى الإنجليزى إميل بيرنز. وترددت بعد ذلك على دار الأبحاث العلمية، وكان يديرها شهدى عطية الشافعى وعبد المعبود الجبيلى. وكانت تنظم فيها محاضرات أسبوعية فى القضايا السياسية المختلفة من منطلق ماركسى. وتعرفت هناك على بعض الطلبة مثل جمال غالى وفاطمة زكى وغيرهم من كلية العلوم، ولطيفة الزيات وثريا أدهم وآسيا النمر وغيرهم من كلية الآداب. وروبير ستون وغيره من كلية الهندسة.

وكان نشاطى الأساسى فى كلية الحقوق. وكنت أثير المناقشات مع زملائى من الطلبة مثل عبدالجابر خلاف وكامل زهيرى وكمال عبدالحليم ومصطفى دوريش ولبيب شقير وغيرهم، من الذين كنت أعطيهم بعض الكتب مثل كتاب «ما هى الماركسية» لإميل بيرنز. وجندت البعض مثل عبد الجابر خلاف ومحمد فهيم وأحمد بهى الرشيدى ومصطفى درويش الذى قام بتجنيد نبيل الهلالى وذلك بعد أن انضمت إلى تنظيم إسكرا، إلى جانب الفجر الجديد ومجلة الطليعة وأم درمان ولجنة نشر الثقافة الحديثة ودار الأبحاث العلمية ودار القرن العشرين. ثم صدرت بعد ذلك جريدة الجماهير التى كنت مع زملائى نوزعها بين الطلبة. وصدر أيضًا فى ذلك الوقت كتاب «أهدافنا الوطنية» لشهدى عطية الشافعى وعبدالمعبود الجبيلى، الذى حدد الأهداف الوطنية

والاجتماعية. وكان لهذا الكتاب إلى جانب المجلات والكتب والصحف والدور المختلفة والعمل السياسي والثقافي للمنظمات الشيوعية التي كانت توجد سراً، كان لها أيضا نشاط عملي بين الطلبة، مثل الحركة المصرية للتحرر الوطني وإسكرا أساسا، ومنظمة القلعة وغيرها. عندما أشرفت الحرب العالمية الثانية على نهايتها سعت الأحزاب والقوى السياسية المختلفة إلى تحديد مواقفها من القضية الوطنية. وكان المطلب العام هو إعادة النظر في معاهدة ١٩٣٦ وجلاء القوات البريطانية من مصر. وكان الطلبة في قلب الحركة السياسية. وكان لهم دور هام عام ١٩١٩ و١٩٣٥ وعند نهاية الحرب العالمية الثانية. وكان النشاط السياسي بين الطلبة يتوزع أساسًا بين الوفد والأخوان المسلمين ومصر الفتاة. وكان نفوذ أحزاب الأقليات مثل الأحرار الدستوريين والسعديين وغيرهما، يكاد يكون منعدما بين الطلبة. ونشأ بين الطلبة تيار جديد هو الطلبة اليساريون الذين ساعد في تكوينهم الدوريات والمجلات الثقافية والحركة الشيوعية التي نشطت في هذه الفترة. وكانت القضية السياسية الأولى التي تشغل الناس في السنوات الأخيرة من الحرب وعند نهايتها، هي قضية إنهاء الاحتلال البريطاني وتحقيق الاستقلال الوطني. وبدأ التحرك من جانب الطلبة. وفي الوقت الذي كانت فيه الأحزاب المختلفة تطالب بتعديل المعاهدة مع الحفاظ على العلاقة الخاصة ببريطانيا العظمى، فقد نشأ بين الطلبة تيار جديد على الحركة السياسية، وهو التيار اليساري، الذي كان توجهه يختلف عن باقي التيارات والتجمعات والأحزاب السياسية، فقد كانوا يربطون بين المطالب السياسية والتوجهات الاجتماعية. ولهذا فكان من الطبيعي أن يكون نضالهم لتحقيق ذلك هو ضد الاستعمار وأعوانه في الداخل الذين كانوا يتمثلون في الملك وكبار الملاك الزراعيين وكبار الرأسماليين.

وكان الطلبة يستعدون في ذلك الوقت لإجراء انتخابات اللجنة التنفيذية لاتحاد الطلبة. ودارت في ذلك الوقت مناقشات في مدرجات كلية الطب بجامعة فؤاد (القاهرة حاليا) وطرحت أفكار الطلبة اليساريين الذين استطاعوا أن يجذبوا بعض الطلاب

الوفديين بزعامة مصطفى موسى وعبدالرؤوف أبوعلم وعبدالمحسن حمودة وبعض الطلبة المستقلين مثل فؤاد محى الدين وشريف حتاتة الذى أصبح شيوعيًا فيما بعد، وذلك فى مقابل تيار اليمين الذى كان يتمثل فى الأخوان المسلمين ومصر الفتاة. ومن بين طلبة الأخوان المسلمين أذكر مصطفى مؤمن وحسان حتحوت ومسعد سلام. ونجح الطلبة اليساريون وبرنامجهم الوطنى الديمقراطى فى الحصول على غالبية الطلبة. وظهر ذلك فى نتائج انتخابات اللجان التنفيذية التى حصلوا فيها على الغالبية متعاونين مع طلبة الطليعة الوفدية. ومن الأسماء التى نجحت نجاحا باهراً فى هذه الانتخابات جمال غالى - فاطمة زكى (كلية العلوم) لطيفة الزيات - ثريا أدهم (كلية الآداب). مصطفى موسى (كلية الهندسة). فؤاد محى الدين (كلية الطب). وسقط مرشحو الأخوان المسلمين وغيرهم من قوى اليمين.

وكان يجرى نشاط مماثل فى النقابات العمالية ونتج عن ذلك كله تكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال التى قادت التحركات الوطنية فى هذه الفترة المهمة.

وأذكر فى تلك الفترة اللقاءات التى كانت تتم مساء كل يوم فى الجامعة العمالية التى كانت تقع فى شارع إبراهيم (الجمهورية حاليا)، حيث كان طلبة إسكرا وطلبة الحركة المصرية للتحرر الوطنى يجتمعون مع شهدى عطية عن إسكرا، وكمال شعبان عن الحركة المصرية، للاتفاق على توجهات النشاط العملى فى اليوم التالى داخل الجامعة والمدارس الثانوية. وكان للطلبة اليساريين الدور القيادى فى توجهات مظاهرات هذه الفترة التى ووجهت بمجزرة كوبرى عباس التى أدت لاستقالة النقراشى ومجىء حكومة إسماعيل صدقى ثم المساجلات فى حرم الجامعة بين قيادات اليسار (وأبرزها لطيفة الزيات) وقيادات الأخوان المسلمين (وأبرزهم مصطفى مؤمن).

وأذكر مظاهرات الطلبة لتنظيم الزينات التى نصبت يوم ١١ فبراير للاحتفال بعيد ميلاد الملك فاروق الذى كان أول تحرك جماهيرى ضد الملك. وبعد ذلك مظاهرات ٢١

فبراير (يوم الجلاء) و ٤ مارس (يوم الحداد) تحت قيادة اللجنة الوطنية للطلبة والعمال. ورفض الجيش المصرى ضرب المظاهرات وتعاطفه معها. ثم جاءت حمله صدقى لمكافحة الشيوعية يوم ١١ يوليو والتى اعتقل فيها عدد من الطلبة اليساريين إلى جانب غيرهم من المثقفين والعمال. ومن الطلبة المعتقلين أذكر: جمال غالى - كمال عبدالحليم - مصطفى مندور - كمال شعبان.

بعد ذلك نجح أكبر تنظيمين شيوعيين فى ذلك الوقت، (إسكرا والحركة المصرية للتحرر الوطنى)، إلى جانب بعض التنظيمات الأخرى مثل «القلعة» وجزء كبير من «تحرير الشعب»، فى تحقيق الوحدة وتكوين الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)، والتى أنشىء بها قسم كبير لطلبة. وواصل الطلبة الشيوعيون النضال الوطنى، ولعبوا دوراً هاما فى نشر برنامج حدتو داخل الجامعة والمدارس الثانوية، سواء بتوزيع المجلة السرية لحدتو وغيرها من الإصدارات العلنية، وأهمها جريدة «الجماهير»، فضلا عن مجلة «صوت الطالب» نصف السرية، فضلا عن التجنيد بين طلبة الجامعة. وساهم بعضهم بعد ذلك فى الكفاح المسلح فى قناة السويس ضد القوات البريطانية. وقد اشترك ممثلون عن الطلبة فى أول مهرجان عالمى للشباب وفى اتحاد الشباب العالمى واتحاد الطلبة العالمى، وقد قرر اتحاد الشباب العالمى اعتبار يوم ٢١ فبراير يوم الطلبة العالمى رمزا لتحركات الطلبة الكبيرة فى مصر فى هذا اليوم إلى جانب انتفاضة البحارة فى الهند.

م	اسم المنظمة	المؤسسون	عام التأسيس
١	الحزب الاشتراكى المصرى		١٩٢١
٢	الحزب الشيوعى المصرى		١٩٢٢
٣	منظمة تحرير الشعب	مارسيل اسرائيل، تحسين المصرى، أسعد حليم، حسين كاظم، فوزى جرجس، أبو بكر سيف النصر، فتحى الرملى وآخرون	١٩٢٩ ١٩٤٠
٤	مجموعة التروتسكيين	أنور كامل، جورج حنين، رمسيس يونان	١٩٤٠
٥	الحركة المصرية للتحرر الوطنى(حمتو)	هنرى كورييل	١٩٤٣
٦	إسكرا	هليل شوارتز، عبد المعبود الجبيلى، عبد الرحمن الناصر، شهدى عطية وآخرون.	١٩٤٣
٧	منظمة القلعة	مصطفى هيكل، عبد العزيز بيومى وآخرون	١٩٤٣
٨	اتحاد شعوب وادى النيل	تنظيم ماركسى إسلامى، انقسام من الحركة المصرية (عبد الفتاح الشرقاوى وآخرون).	١٩٤٦
٩	الطليعة الشعبية للتحرر (طشت)	التى اشتهرت أيضًا بالفجر الجديد عام ١٩٤٥(يوسف درويش، صادق سعد، ريمون دويك، يوسف المدرك، محمود العسكرى، رشدى صالح، أبو	١٩٤٦

		سيف يوسف، طه سعد عثمان وآخرون). ثم تحولت إلى منظمة الديموقراطية الشعبية عام ١٩٤٩ بعد إنضمام حركة تحرير الشعب ثم طليعة العمال فى بداية الخمسينيات ثم حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى عام ١٩٥٧.	
١٠-	طليعة الاسكندرية	انقسام من الحركة المصرية (د.حسونة من الحزب الأول وعدلى جرجس)	١٩٤٦
١١	العصبة الماركسية	انقسام من الحركة المصرية (فوزى جرجس وعبد الفتاح القاضى، شعبان حافظ من الحزب الأول وآخرين.	١٩٤٦
١٢	الطليعة المتحدة	إسكرا + منظمة تحرير الشعب.	١٩٤٦
١٣	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)	الحركة المصرية - إسكرا - بعض أعضاء من تحرير الشعب، ومنهم مجموعة روما.	١٩٤٧
١٤	حركة تحرير الشعب (حتش)	(راؤول مكاريوس، عبد الرحمن عزت، حسين توفيق طلعت) وانضمت إلى الطليعة الشعبية للتحرر عام ١٩٥٩ وسميت بالديمقراطية الشعبية.	١٩٤٧
١٥	التكتل الثورى	انقسام من الحركة الديمقراطية (شهدى عطية الشافعى وأنور عبد الملك).	١٩٤٧
١٦	الجبهة الاشتراكية	فتحى الرملى	١٩٤٧

١٧	صوت المعارضة	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيدنى سلامون، أوبيت حزان وسعد الطويل وعنايات المنيرى وفاطمة زكى وآخرون).	١٩٤٨
١٨	القاعدة المشتركة	بقية أعضاء حدتو الذين لم ينفصلوا تمامًا كالعمالية الثورية، والتكتل الثورى.	مايو ١٩٤٨
١٩	نحو منظمة بلشفية	انقسام من الحركة الديمقراطية (ميشيل كامل، أحمد شوقى الخطيب وسعد رحمى وآخرون انضمت بعد ذلك إلى صوت المعارضة).	١٩٤٨
٢٠	المنظمة الشيوعية المصرية(م ش م)	صوت المعارضة بعد المؤتمر (أوبيت حزان، وسليم سيدنى، ميشيل كامل، فاطمة زكى وآخرين)	١٩٤٨
٢١	نحو حزب شيوعى مصرى (نحشم)	انقسام من حدتو (هليل شوارتز، وبقايا إسكرا منهم أحمد فؤاد، إنجى أفلاطون، إبراهيم المانسترلى واخرون).	١٩٤٨
٢٢	حدتو العمالية الثورية	انقسام من الحركة الديمقراطية (عبد المعبود الجبيلى، أحمد شكري سالم، مارسيل اسرائيل، عبدالرحمن الناصر، فوزى حبشى وآخرون).	١٩٤٨
٢٣	جبهة التحرير التقدمى (جات)	(عصام الدين جلال، أحمد طه، اسماعيل جبر، صلاح سلمى، يحيى المازنى وآخرون).	١٩٤٨
٢٤	اتجاه النضال الثورى	إبراهيم عرفة وآخرون.	١٩٤٩

٢٥	نواة الحزب الشيوعى المصرى	امتداد العصبة الماركسية بعد تحللها (فوزى جرجس) واتجاه النضال الثورى ببقايا من التكتل الثورى.	١٩٤٩
٢٦	الحزب الشيوعى المصري (الراية)	(فؤاد مرسى، إسماعيل صبرى عبد الله وسعد زهران داوود عزيز، مصطفى طيبة وآخرون)	١٩٥٠
٢٧	النجم الأحمر	بقايا عمالية ثورية (عدلى جرجس، فوزى حبشى، أحمد خضر وآخرون).	فبراير ١٩٥٠
٢٨	طليعة الشيوعيين المصريين	بقايا التكتل الثورى (فخرى لبيب، عبد الله كامل وآخرون ممن خرجوا من النواة).	١٩٥٠
٢٩	وحدة الشيوعيين	إبراهيم فتحى وعلى الشويشى وآخرون	١٩٥٠
٣٠	الحركة الديمقراطية لتحرر الوطنى (التيار الثورى)	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيد سليمان رفاعى، حمدى عبد الجواد، فؤاد عبد الحليم).	١٩٥٣
٣١	الحزب الشيوعى المصرى الموحد	الحركة الديمقراطية+ نواة الحزب الشيوعى + طليعة الشيوعيين+ النجم الأحمر + التيار الثورى.	١٩٥٤
٣٢	طليعة الشعب الديمقرطية	عناصر رافضة لوحدة الموحد من النواة وغيرها من التنظيمات (فوزى جرجس)	١٩٥٦
٣٣	الحزب الشيوعى المصرى المتحد	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصرى (الراية).	١٩٥٧
٣٤	الحزب الشيوعى المصرى (حزب ٨ يناير)	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصري(الراية) + حزب العمال	١٩٥٨

		والفلاحين ثم خرجت المجموعة الرئيسية من حدتو وكونت الحزب الشيوعي المصرى (حدتو).	
٣٥	الطليعة الشيوعية (ط.ش)	طليعة الشعب الديمقراطية + وحدة الشيوعيين التى خرجت من الوحدة قبل أن تكتمل.	١٩٥٨
٣٦	الحزب الشيوعي المصرى (حدتو)	أعضاء من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى خرجوا من حزب ٨ يناير.	١٩٥٨
٣٧	نواة الحزب الشيوعى المصرى (الجديدة).	بقايا الطليعة الشيوعية خارج المعتقلات بعد تحلل الطليعة فى الواحات. (رمسيس لبيب).	١٩٦٢
٣٨			
٣٩			
٤٠	الشيوعيون داخل السجون		

المؤسسون فى لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

أحمد نبيل الهلالى	عبد الخالق الشهاوى
إسماعيل عبد الحكم	فاطمة زكى
خالد حمزة	فتح الله محروس
داود عزيز	فخرى لبيب
رمسيس لبيب	فوزى حبشى
سعد الطويل	مبارك عبده فضل
سمير أمين	محمد الجندى
سيد عبد الوهاب ندا	محمد فخرى
شكري عازر	محمود أمين العالم
طه سعد عثمان	نجاتى عبد المجيد

ويتعاون مع اللجنة فى عملها أ. د. عاصم الدسوقى، د. عماد أبو غازى، والسادة الباحثون بشير السباعى - صلاح العمروسى - مصطفى مجدى الجمال - محمود مدحت - حنان رمضان.

قائمة مطبوعات

مركز البحوث العربية

١ - فؤاد مرسى، مصير القطاع العام فى مصر ١٩٨٧ .

٢ - لطيفة الزيات (تحرير)، المشكلة الطائفية فى مصر ١٩٨٨ .

٣ - رشدى سعيد وآخرون، أزمة مياه النيل، ١٩٨٨ .

٤ - عواطف عبد الرحمن، المدرسة الاشتراكية فى الصحافة، ١٩٨٨ .

٥ - وداد مرقس، سكان مصر، ١٩٨٨ .

٦ - أبوسيف يوسف وآخرون، النظرية والممارسة فى فكر مهدى عامل :أعمال ندوة فكرية ، ١٩٨٩ .

٧ - إبراهيم برعى ، دليل قرارات المجلس الاقتصادى والاجتماعى العربى ١٩٥٣/١٩٨٩ .

٨ - إبراهيم العيسوى، المسار الاقتصادى فى مصر وسياسات الاصلاح، ١٩٩٠ .

٩ - إبراهيم بيضون وآخرون، ثقافة المقاومة ومواجهة الصهيونية أعمال ندوة لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ١٩٩٠ .

١٠ - أحمد عبد الله (المحرر) ، الانتخابات البرلمانية فى مصر - نشر مشترك مع دار سينا ١٩٩٠ .

١١ - حيدر إبراهيم ، أزمة الاسلام السياسى، الجبهة الاسلامية القومية فى السودان ١٩٩٠ .

١٢ - محمد عبيد غباش ، من لايعرف شيئا فليكتب، خربشات رجل بلاد النفط ، ١٩٩١ .

١٣ - ألفت الروبى، الموقف من القص فى تراثنا النقدى، ١٩٩١ .

١٤ - محمد على دوس، حياة موارة فى العمل السياسى العربى الأفريقى، ١٩٩١ .

١٥ - أحمد نبيل الهلالى وآخرون ، اليسار المصرى وتحولات الدول الاشتراكية : أعمال ندوة عقدت بالمركز ١٩٩٢ .

١٦ ـ أمينة رشيد وآخرون، قضايا المجتمع المدني في ضوء فكر جرامشي (مع دار عيبال بدمشق)، ١٩٩٢.
١٧ ـ سمير أمين،من نقد الدولة السوفيتية إلى الدولة الوطنية، ١٩٩٢.
١٨ ـ المسألة الفلاحية والزراعية في مصر: أعمال ندوة عقدت بالمركز، ١٩٩٢.
١٩ ـ جريل بنين، زكاري لوكمان، العمال والحركة السياسية في مصر ج١، ترجمة أحمد صادق سعد، ١٩٩٢.
٢٠ ـ إشكاليات التكوين الاجتماعي والفكريات الشعبية في مصر: أعمال ندوة بالمركز نشر مع دار كنعان، ١٩٩٢.
٢١ ـ أحمد يوسف أحمد: منطق العمل الوطني ـ حركة التحرر الوطني الفلسطينية في دراسة مقارنة مع حركات التحرر الأفريقية بالتعاون مع مركز القدس للدراسات الإنمائية عمان، ١٩٩٢.
٢٢ ـ ليلى عبد الوهاب، سوسيولوجية الجريمة عند المرأة، ١٩٩٢.
٢٣ ـ أحمد محمد البدوي، لبن الأبنوس يازول ١٩٩٢.
٢٤ ـ مركز دراسات المرأة الجديدة ومركز البحوث العربية، المرأة وتعليم الكبار، ١٩٩٢.
٢٥ ـ ادريس سعيد، عظام من خزف، ١٩٩٣.
٢٦ ـ دارام جاي، (تحرير)، صندوق النقد الدولي وبلدان الجنوب ترجمة / مبارك عثمان، نشر مع اتحاد المحامين العرب ١٩٩٣.
٢٧ ـ ميكل دراكوه (تحرير)، الأنهار الأفريقية وأزمة الجفاف، نشر بالتعاون مع منظمة البحوث الاجتماعية لشرق وجنوب أفريقيا ١٩٩٤.
٢٨ ـ عادل شعبان وآخرون، الحركة العمالية في معركة التحول، ١٩٩٤.
٢٩ ـ نادية رمسيس فرح (تحرير) السكان والتنمية في مصر نشر مع دار الأمين، ١٩٩٤.
٣٠ ـ أمل سعد زغلول، دور الحركة الشعبية في حرب السويس، ١٩٩٤.
٣١ ـ لجنة الدفاع عن الثقافة القومية (دراسات ووثائق ١٩٧٩ـ١٩٩٤)(من مقاومة التطبيع إلى مواجهة الهيمنة) ١٩٩٤.

٣٢ ـ على عبد القادر، برامج التكيف الهيكلى والفقر فى السودان، ١٩٩٤ .
٣٣ ـ حلمى شعراوى وعيسى شيفجى، حقوق الإنسان فى أفريقيا والوطن العربى، ١٩٩٤ .
٣٤ ـ لطيفة الزيات (ترجمة وتعليق)، حول الفن، ١٩٩٤ .
٣٥ ـ جودة عبد الخالق (تحرير)، تطور الرأسمالية ومستقبل الاشتراكية فى مصر والوطن العربى : ندوة مهداة إلى فؤاد مرسى، ١٩٩٤ .
٣٦ ـ عبد الغفار شكر، التحالفات السياسية فى مصر ١٩٩٤ .
٣٧ ـ صادق رشيد، أفريقيا والتنمية المستعصية، ت/ مصطفى مجدى الجمال، ١٩٩٥ .
٣٨ ـ عبد الغفار أحمد، السودان بين العروبة والأفريقية، ١٩٩٥ .
٣٩ ـ بيترنيانجو، من تجارب الحركات الديمقراطية فى أفريقيا والوطن العربى، مع اتحاد المحامين العرب ترجمة حلمى شعراوى وآخرون، ١٩٩٥ .
٤٠ ـ سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى: حالة مصر، نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٦ .
٤١ ـ سمير أمين (تحرير) المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى: حالة لبنان، مشترك مع مدبولى ١٩٩٦ .
٤٢ ـ مصطفى كامل السيد(تحرير)، حقيقة التعددية السياسية فى مصر، نشر مشترك مع مدبولى ١٩٩٦ .
٤٣ ـ سيد البحراوى (تحرير)، لطيفة الزيات : الأدب والوطن، نشر مشترك مع دار المرأة العربية، ١٩٩٦ .
٤٤ ـ عبد الباسط عبد المعطى: بحوث الطفولة فى الوطن العربى، نشر مشترك مع المجلس العربى للطفولة والتنمية، ١٩٩٦ .
٤٥ ـ جويل بنين، زكارى لوكمان، العمال والحركة السياسية فى مصر الجزء الثانى، ترجمة إيمان حمدى، نشر مع دار الخدمات النقابية والعمالية.
٤٦ ـ عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات الأهلية وأزمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٧ .

٤٧ ـ سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى: حالة المشرق العربى نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٧.

٤٨ ـ سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة المغرب العربى نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٧.

٤٩ ـ كمال مغيث (تحرير)، التعليم وتحديات الهوية القومية، نشر مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨.

٥٠ ـ عبد الغفار شكر، اليسار العربى وقضايا المستقبل ١٩٩٨. نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٨.

٥١ ـ عاصم الدسوقى (تحرير)، عمال وطلاب فى الحركة الوطنية المصرية. نشر مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨.

٥٢ ـ محمد أبو مندور وآخرون، الإفقار فى بر مصر، نشر مشترك مع دار الأهالى، ١٩٩٨.

٥٣ ـ عبد الغفار أحمد (تحرير) ، إدارة الندرة، ترجمة صلاح أبو نار وآخرون، ١٩٩٨.

٥٤ ـ لايف مانجر وآخرون، البقاء مع العسر، ترجمة صلاح أبو نار ـ مجدى النعيم، ١٩٩٨.

٥٥ ـ لايف مانجر، لفوفة النوبة، ترجمة مصطفى مجدى، ١٩٩٩.

٥٦ ـ أمينة رشيد (تحرير) : التبعية الثقافية : مفاهيم وأبعاد، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩.

٥٧ ـ محمود عودة، (إشراف) ، الأسر المعيشية فى الريف المصرى، نشر مشترك مع جامعة عين شمس، ١٩٩٩.

٥٨ ـ محمد محيى الدين، (إشراف) ، نساء الغزل والنسيج : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٩٩.

٥٩ ـ عبد الحميد حواس وآخرون، المأثور الشعبى فى الوطن لعربى، نشر مشترك مع المنظمة العربية للتربية وللثقافة وللعلوم، ١٩٩٩.

٦٠ ـ عبد الباسط عبد المعطى(تحرير) ، العولمة والتحولات المجتمعية فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٩.

٦١ ـ عزة خليل (إعداد)، خريطة سياسات وخدمات الطفولة فى مصر، نشر مشترك مع المركز القومى للثقافة والطفل، ١٩٩٩.

٦٢ ـ أمينة رشيد (تحرير)، الحريات الفكرية والأكاديمية نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.

٦٣ ـ فاروق القاضى، فرسان الأمل : تأمل فى الحركة الطلابية المصرية، ٢٠٠٠.

٦٤ ـ جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق فى علم اللغة، الورقة الأولى ـ يناير ٢٠٠٠ حول (مشكلات تدريس اللغات فى مصر)، الورقة الثانية ـ نوفمبر ٢٠٠٠ (دراسات حول اللغة العربية فى مصر)، الورقة الثالثة ـ مايو ٢٠٠٢ (مساهمات فى اللغويات العربية)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.

٦٥ ـ حلمى شعراوى، أفريقيا فى نهاية قرن، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١.

٦٦ ـ مصطفى مجدى الجمال (تحرير)، فلسطين والعالم العربى. نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١.

٦٧ ـ عبد الغفار شكر (تحرير)، تحديات المشروع الصهيونى والمواجهة العربية. نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١.

٦٨ ـ سلسلة كتب شهادات ورؤى : من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية جـ١, ٢, ٣, ٤, ٥، ٦ بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥.

٦٩ ـ فرانسوا أوتار وفرانسوا بوليه،، فى مواجهة دافوس، ترجمة: سعد الطويل، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠١.

٧٠ ـ عبد الغفار شكر (إشراف)، الجمعيات الأهلية الإسلامية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١.

٧١ ـ كويسى براه، اللغات الأفريقية وتعليم الجماهير، ترجمة وتحرير حلمى شعراوى، بالتعاون مع مركز الدراسات المتقدمة للمجتمع الأفريقى بكيب تاون، الناشر، دار الأمين.

٧٢ ـ فيتينو بيكيلى، وأخرون، دراسات مختارة/ التحولات الاجتماعية والمرأة

الأفريقية، بالتعاون مع منظمة أوسريا بأديس أبابا، تقديم د. عبد الغفار محمد أحمد، الناشر دار الأمين، ٢٠٠١ .

٧٣ ـ رمسيس لبيب (تحرير)، العمال في الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠١.

٧٤ ـ سعد الطويل (تحرير)، الأجانب في الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٧٥ ـ سمير أمين، مستقبل الجنوب في عالم متغير، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢ .

٧٦ ـ أكيكي بي موجاجو وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، بالتعاون مع منظمة أوسريا بأديس أبابا، الناشر دار الأمين، ٢٠٠١ .

٧٧ ـ سمير أمين وآخرون، العلاقات العربية الأوربية: قراءة عربية نقدية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢ .

٧٨ ـ يسري مصطفى (تحرير)، المجتمع المدني وسياسات الإفقار في العالم العربي، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠٢ .

٧٩ ـ د. فخري لبيب (تحرير)، منظمة التجارة العالمية ومصالح شعوب الجنوب، بالتعاون مع منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية وعدد من المنظمات غير الحكومية، الناشر مركز المحروسة، ٢٠٠٢ .

٧٩ ـ د. عبدالغفار محمد أحمد، في تاريخ الأنثروبولوجيا والتنمية في السودان، ترجمة: مصطفى مجدي نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢ .

٨٠ ـ عبدالغفار شكر (تحرير)، الجمعيات التعاونية كمنظمات شعبية تنموية: الجزء الأول، نشر مشترك مع مركز المحروسة ٢٠٠٢ .

٨١ ـ حنان رمضان (تحرير)، المرأة في الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢ .

٨٢ ـ عريان نصيف (تحرير)، الفلاحين في الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢ .

٨٣ ـ سمير أمين وآخرون، الاشتراكية واقتصاد السوق تجارب (الصين ـ فيتنام ـ كوبا)، نشر مشترك مع مكتبة مدبولى، ٢٠٠٣.

٨٤ ـ عبدالحميد حواس، أوراق فى الثقافة الشعبية فى مصر، نشر مشترك مع دار الآمين، ٢٠٠٣.

٨٥ ـ عبدالغفار شكر (تحرير)، الجمعيات التعاونية كمنظمات شعبية تنموية ـ الجزء الثانى، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٣.

٨٦ ـ مدحت أيوب(تحرير)، الأمن القومى فى عالم متغير نشر مشترك، مع مكتبة مدبولى، ٢٠٠٣.

٨٧ ـ طايع آصيفا وآخرون (تحرير)، العولمة والديمقراطية والتنمية فى أفريقيا: تحديات وآفاق، نشر مشترك مع منظمة العلوم الاجتماعية بشرق وجنوبى أفريقيا (أديس أبابا) ومركز المحروسة، ٢٠٠٣.

كراسات المركز

١ ـ أحمد هنئ، حول إجراءات الإصلاح الاقتصادى فى الجزائر، ١٩٨٨.

٢ ـ عصام فوزى، ترجمة ثلاثة قراءات سوفيتية فى البيريسترويكا، ١٩٨٨.

٣ ـ أشرف حسين ، ببليوجرافيا الطبقة العاملة ، ١٩٨٨.

٤ ـ عبد العظيم أنيس، قراءة نقدية فى كتابات ناصرية، ١٩٨٩.

٥ ـ مصطفى نور الدين عطية، المجتمعات التابعة ومشكلات التنمية المستقلة، ١٩٨٩.

٦ ـ موشى ليوين وآخرون، تقديم/ فؤاد مرسى ، البيريسترويكا فى عيون الآخرين ، ١٩٩٠.

٧ ـ نادر فرجانى، الأزمة العربية الكبرى.

٨ ـ محمد أبو مندور وآخرون، أزمة المياه فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار الأمين ١٩٩٩.

٩ ـ إسماعيل زقزوق، المهمشون بين النمو والتنمية، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩.

١٠ ـ عبد الغفار شكر، تجديد الحركة التقدمية المصرية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.

١١ ـ حنان رمضان (إعداد)، العراق تحت الحصار، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠ .
١٢ ـ أحمد صالح، الانترنت والمعلومات، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١ .
١٣ ـ عريان نصيف (تحرير) الأرض والفلاح، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١ .
١٤ ـ أحمد عبد الله، عمال مصر وقضايا العصر، نشر مشترك مع دار المحروسة، ٢٠٠٢ .
١٥ ـ عريان نصيف (تحرير)، التشريع التعاوني في مصر: الواقع ... وآفاق المستقبل، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.
* شهيدة الباز (إشراف)، مصطفى مجدي الجمال (مسئول التحرير) أفريقية ـ عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، مجلد١ (أكتوبر ١٩٩٩)، مجلد٢ (مارس ٢٠٠٠) مجلد ٣ (أكتوبر ٢٠٠٠) مجلد ٤ (أكتوبر ٢٠٠١) مجلد ٥ (٢٠٠٢)، مجلد٦ (٢٠٠٣)، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين.

كراسات كوديسريا

١ ـ أوكرادبا نولي، الصراع العرقي في أفريقيا، ١٩٩١ .
٢ ـ ايبو هو تشغول، الجيش والعسكرية في أفريقيا، ١٩٩١ .
٣ ـ ديساليجن رحماتو، منظمات الفلاحين في أفريقيا : قيود وإمكانيات ، ١٩٩١ .
٤ ـ جيمي أديسينا، الحركات العمالية وضع السياسة في أفريقيا، ١٩٩٢ .
٥ ـ أديمولات ـ سالو ، تغير البيئة العالمية : جدول أعمال بحث لافريقيا ، ١٩٩٣ .
٦ ـ م٠ مامداني ءآخرون، الحركات الاجتماعية والعلمية الديمقراطية في أفريقيا.
٧ ـ ثانديكا مكانداويري ، التكيف الهيكلي والأزمة الزراعية في أفريقيا .
٨ ـ مومار ديوب، ممادوديوف، تداول السلطة السايسية وآلياتها في أفريقيا، ١٩٩٢ .
٩ ـ آرشي مافيجي، الأسر المعيشية وآفاق إحياء الزراعة في أفريقيا، ١٩٩٣ .
١٠ ـ سليمان بشير دياني،المسألة الثقافية في أفريقيا، ١٩٩٦ .
١١ ـ ميشيل بن عروس، الدولة ـ والمنشقون عليها، ١٩٩٦ .
١٢ ـ عبدو مالك سيمون، عملية التحضر، والتغير في أفريقيا، ١٩٩٩ .

١٣ ـ أمينة ماما، دراسات عن المرأة ودراسات النساء فى أفريقيا، ١٩٩٩.
١٤ ـ تادى آكين آنيا، العولمة السياسية الاجتماعية فى أفريقيا، ١٩٩٩.
١٥ ـ مامادو ضيوف، ليبرالية سياسية أم انتقال ديمقراطى : منظورات أفريقية، ١٩٩٩.
١٦ ـ حكيم بن حمودة نظريات ما بعد التكيف الهيكلى، ٢٠٠٠.
١٧ ـ كلوديو شوفنان، ماذا بعد ممارسات التنمية المشوهة فى أفريقيا؟، ٢٠٠٠.
١٨ ـ أشيلى ميمبى، عن الحكم الخاص غير المباشر، ٢٠٠٠.

سلسلة كراسات اللجنة الاقتصادية لأفريقيا

أ ـ التنمية بالمشاركة

١ ـ تعزيز التواصل بين مؤسسات صنع السياسة الحكومية وبين الجامعات والمراكز البحثية من أجل دعم الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا.
٢ ـ تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا: دروس من تجارب قطرية.
٣ ـ تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا.
٤ ـ تعبئة وإدارة الموارد المالية فى الجامعات الأفريقية.
٥ ـ تحسين إنتاجية الخدمات العامة فى أفريقيا.
٦ ـ دعم حيوية الجامعة الافريقية فى التسعينيات ومابعدها.
٧ ـ تهيئة البيئة لتنمية الفعاليات التنظيمية فى أفريقيا.
٨ ـ تعبئة القطاع غير الرسمى والمنظمات غير الحكومية من أجل الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا.
٩ ـ الأخلاقيات والمساءلة فى الخدمات العامة الأفريقية.
١٠ ـ أعمال ندوة حول الديمقراطية والمشاركة الشعبية لقادة نقابات العمال فى أفريقيا.
١١ ـ الإثنية والصراع السياسى فى أفريقيا.
١٢ ـ ميثاق عمل للمنظمات غير الحكومية فى أفريقيا .

ب ـ سلسلة التنمية بالمشاركة

١ ـ دراسة حالة فى ناميبيا.

٢ ـ دراسة حالة فى أوغندا.

٣ ـ كيف تؤثر المنظمات الأهلية فى السياسات عن طريق البحث والضغط والدعوة .

٤ ـ المبادىء الأساسية لتعزيز الحوار والتعاون والتداخل بين الحكومات والمنظمات الشعبية .

٥ ـ دراسة حالة فى جامبيا.

٦ ـ دراسة حالة فى أثيوبيا.

ج ـ سلسلة الدليل التدريبى للتنمية بالمشاركة الشعبية

١ ـ الاتصال فى خدمة التنمية بالمشاركة.

٢ ـ المنظمات المحلية غير الحكومية وتحقيق الاكتفاء الذاتى من الغذاء فى المجتمعات المحلية .

٣ ـ مناهج تطوير المنظمات الأهلية للمشروعات .

٤ ـ تخفيف الفقر وصيانة البيئة.

٥ ـ تعريف دور وأهمية اتصال دعم التنمية من أجل المشاركة الفعالة فى عملية التنمية.

٦ ـ إدارة المشروعات الصغيرة.

٧ ـ تصميم فعال لخدمات تنظيم الأسرة.

٨ ـ دور مؤسسات المجتمع المدنى فى منع وإدارة وحل الصراعات فى أفريقيا.

النشرات

١ ـ نشرة البحوث العربية.

من العدد التجريبى يناير ١٩٩٠ إلى العدد الرابع عشر شتاء ٢٠٠٢ .

٢ ـ نشرة المجلس الأفريقى لتنمية البحوث الاقتصادية والاجتماعية (كوديسريا) من العدد الأول أبريل ١٩٩١ إلى العددا الثالث والأربعون، يناير ٢٠٠٣ .

٣ ـ نشرة العلوم السياسية الأفريقية.

من العدد الأول إلى العدد السابع والثلاثون، يناير ـ مارس ٢٠٠٢.

٤ ـ نشرة منتدى العالم الثالث بداكار.

العدد الأول يوليو ١٩٩٦ ـ العدد الثاني يونيو ١٩٩٧

٥ ـ نشرة المنتدى العالمي للبدائل ـ العدد الثالث ـ فبراير ٢٠٠٢.

تحت الطبع

١ ـ المشاركة الشعبية فى التنمية المحلية.

٢ ـ التعليم العالى والتنمية.

٣ ـ سنوات اليسار فى مصر.

٤ ـ الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

٥ ـ الجمعيات الأهلية الإسلامية ـ حالة السودان ـ الجزائر ـ تونس ـ المغرب.

٦ ـ المرأة فى القطاع غير الرسمى.

٧ ـ الحريات الفكرية فى شمال أفريقيا.

٨ ـ حدود التغيير فى جنوب أفريقيا.

٩ ـ العولمة: رؤية الشعوب.

١٠ ـ المياه.